العَرَب

مجلة شهرية تعنى بتاريخ العرب وآدابهم وتراثهم الفكري
أسسها : حمد الجاسر سنة ١٣٨٦هـ / ١٩٦٦م
صاحب الامتياز المسؤول: معن بن حمد الجاسر

ج٧و٨ س٣٧ محرم وصفر سنة ١٤٢٣ هـ ـ نيسان ـ أيار (أبريل ـ مايو) سنة ٢٠٠٢م

العنوان

حي الورود، شارع حمد الجاسر، هاتف ٤٦٠٤٦٦٤(٠٠٩٦٦١) لاقط ٤١٩٤٥٠٣
ص.ب ١٣٧ الرياض ١١٤١١ ، المملكة العربية السعودية .

الصفحة الالكترونية: WWW. HAMADALJASSER.COM

ضوابط النشر في المجلة

١ـ أن يكون البحث داخلاً ضمن اهتمامات المجلة وهي الموضوعات المتعلقة بتاريخ العرب ، وآدابهم ، ولغتهم ، وتراثهم الفكري .

٢ ـ ألا يكون البحث مقدماً للنشر في مجلة أخرى ، وأن يكون في نسخته الأصلية .

٣ ـ أن يتأكد الكاتب من سلامة اللغة ، وحسن الترقيم والتوثيق ، وضبط الألفاظ غير المألوفة بالشكل الصحيح .

٤ ـ أن يتسم النقد بالأسلوب العلمي الخالي من الإساءة إلى شخصية المؤلف أو الباحث .

٥ ـ لا تعاد البحوث إلى أصحابها سواء أنشرت أم لم تنشر .

٦ ـ ترتيب البحوث داخل المجلة يخضع لاعتبارات فنية لاعلاقة لها بمكانة الكاتب .

٧ ـ الموضوعات التي تنشر في المجلة تعبر عن آراء كاتبيها وليس بالضرورة عن رأي المجلة .

٨ ـ المكاتبات توجه إلى رئيس التحرير .

الاشتراك السنوي :

١٠٠ ريال للأفراد، و٢٠٠ ريال لغيرهم

ثمن الجزء ١٧ ريالاً

الإعلانات :

يتفق عليها مع الإدارة

الاستشهاد بشِعر المولدين والمعاصرين في المعجم الكبير

بقلم: د. أحمد بن محمد الضبيب

(٢)

ألَّـــه: جاء في المعجم (٤٤١/١): "ألّه فلانًا اتخذ إلاهًا، وـــ عظّمه"، واستشهد على المعنى الأخير بقول حافظ إبراهيم في عمريته يذكر عمر وعليًا:

فاذكرهما وترحم كلما ذكروا   أعاظما أُلّهوا في الكون تأليها

قلت: لم نجد هذا المعنى في المعجمات العربية ولا في شِعر العرب قبل حافظ، وأظن المعنى الذي قصد إليه حافظ لا يخرج عن معنى العبادة، فهو يقول إذا رأيت بشرًا يُصرف لهم نوع من أنواع العبادة، وهو ضلال بلا شك، فاذكر هذين، وترحّم عليهما.

أما إن ثبت استعمال التأليه بمعنى التعظيم من قِبَل حافظ أو غيره من الشعراء، فإن من الواجب الإشارة إلى أنه استعمال خاص بالشاعر الذي ورد في شِعره.

الأمل: أورد المعجم (٤٨٢/١) شاهدًا على لفظة "الأمل" بيتًا للبارودي هو:

لم يبــق لي أمـــل إلا إليــك فلا   تقطع رجائي فقد أشفقت من حرجي

وأورد قبله آية قرآنية وبيتًا لقطري بن الفجاءة.

قلت: الكلمة مألوفة في التراث اللغوي منذ الجاهلية، وإيراد بيت البارودي لا يضيف إلى المعنى شيئًا جديدًا، فإن كان القصد من إيراده تمثيل العصور التي وردت في نصوصها هذه الكلمة، فقد كان الأوْلى البدء بالعصر الجاهلي؛ فقد جاءت في شِعر عبيد بن الأبرص:

فكـــل ذي نعمـــة مخـــلوســـها   وكـــل ذي أمـــل مكـــذوب[1]

ووردت عند الراعي في العصر الإسلامي في قوله:

أملـــت خيرك هل يـــأتي مواعده   فالآن قصر عن تلقائك الأمل[2]

وقد تعدد ورود الكلمة عند الشعراء العباسيين أبي تمام وأبي العتاهية والبحتري وابن المعتز، فشاعت في أشعارهم كما شاعت في شِعر أبي العلاء المعري، فإن كان القصد تمثيل عصور الشِّعر العربي، فإن المنتظر من المعجم أن يورد شواهد من هذه العصور، أما الاستشهاد ببيتي قطري والبارودي، فإن ذلك يوحي بعدم ورود الكلمة في الشِّعر العربي قبل قطري، أو بينه وبين البارودي. والواقع أن الكلمة مألوفة، ولا تستحق الاستشهاد عليها؛ إذ ليس فيها غموض يوضحه الاستشهاد، ولا استعمال غريب تفرد به أحد الشعراء، ولا تطور في الدلالة لحق الكلمة عبر العصور.

ويلحق بهذه الكلمة فعل الأمر "تأمَّلْ" فقد استشهد عليه المعجم ببيت البارودي:

تأمـــّل هل تـــرى أثرًا فإني   أرى الآثار تذهب كالرماد

على معنى "تثبت في الأمر والنظر" (١/٤٨١) واستشهد قبله ببيت زهير:

تأمّل خليلي هل ترى من ظعائن   تحملن بالعليـــاء من فوق جرهم

قلت: لم أجد فائدة أو وظيفة معجمية لبيت البارودي تختلف عما يدل عليه بيت زهير، فإن كان القصد تاريخيًا، فإن الشّعر العربي على امتداد عصوره مليء بالأمثلة، التي كان يجب أن يختار منها ما يمثل تلك العصور.

أنين: استشهد المعجم (١/٥٧٠) على لفظة الأنين ببيت عمر بن أبي ربيعة:

ومجلس أصحابي كـــأنّ أنينهم   أنين مكاك فارقت بلدا خصبـــا

وقول البارودي:

وكيـــف تواريه وهـــذا أنينُه   يدل عليه السمع من كل جانب

قلت: ليس في بيت البارودي ما يعد إضافة إلى العمل المعجمي، إلا أن يكون من قبيل الزخرف الذي يثقل المعجم.

يؤوده: استشهد المعجم (١/٥٩٩) على هذه الكلمة بالآية الكريمة (وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَلاَ يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا)، (البقرة: ٢٥٥)، وبأبيات للحارث بن خالد المخزومي، ثم أورد بيتًا للبارودي هو قوله:

وحسب الفتى من رأيه خير صاحب   يؤازره في كل خطب يـــؤوده

قلت: الكلمة مألوفة في الشّعر العربي ولا أرى مزيّة للاستشهاد ببيت البارودي عليها ما دامت لا تمثل عصره، ولم تأت في سياق مختلف عما أتت فيه عند الشعراء قبله، كما في قول عمر بن أبي ربيعة:

وتّنـــو فتصرعـــها عجيزتهـــا   مشي الضعيف يؤوده البهر[٣]

وقول بشار:

خذ من صديقـــك غير متعبه   إنّ الجواد يـــؤوده تعبُـــه[٤]

أوليّات: استشهد المعجم على جمع (أولى) على (أُولَيات) بقول حافظ إبراهيم:

إن مجدي في الأوليات عظيم ... من له مثل أولياتي ومجـــدي

قلت: هذا الاستشهاد لا غبار عليه، إذ يبدو أن استعمال جمع المؤنث السالم لكلمة (الأولى) -وهو قياسي- قليل جِدًّا في الشِّعر العربي القديم، ولم أجده -قبل حافظ- سوى عند ابن حيّوس (ت سنة ٤٧٣هـ) في قوله:

همام حوى في أُوليات شبابه ... مآثر أعيت كل كهل ويافع(٥)

٢ – الألفاظ الدخيلة:

الآس: شجر، استشهد عليه (١٢/١) بقول أبي تمام:

نور العـــرارة نوره ونسيمه ... نشر الخزامى في اخضرار الآس

قلت: ورد اللفظ في الشِّعر المحتج به قبل أبي تمام، قال ابن دريد في الجمهرة: "أحسبـــه دخيلاً، على أن العرب قد تكلمت به، وجاء في الشِّعـــر الفصيح"(٦)، ولم يورد ابن دريد عليه شاهدًا من الشِّعر، وقد ورد في شِعر رؤبة:

تراه منصورا عليه الأرغاس ... يخضر ما اخضر الألاء والآس(٧)

الإبريز: الذهب الخالص، استشهد المعجم عليه ببيت الطغرائي:

بينا ترى الذهب الإبريز مطّرحا ... في الأرض إذ صار إكليلا على ملك

قلت: الاستشهاد ببيت للطغرائي -وهو من شعراء القرن السادس الهجري- على هذه اللفظة يوحي بعدم ورودها في الشِّعر القديم قبله، وهو أمر يتنافى مع كون المعجم شاملا للغة في جميع عصورها، فقد وردت في شِعر لأبي تمام في قوله:

بالأسيل الغطريف والذهب الإبـــ ـــريز فينا والأروع الغرنيق[٨]

وفي شِعر البحتري:

وقـــد هذبتـــك النائبـــات وربمـــا صفا الذهب الإبريز قبلك بالسَّبك[٩]

كما وردت في شِعر الشريف الرضي (ت سنة ٤٠٦هـــ) وشِعر صفي الدين الحلي (ت ٧٥٠هـــ).

الأترُج: استشهد المعجم عليه (٧٣/١) بقول ابن المعتز:

يـــا حبـــذا أترجَّـــة تحدث في النفس الطرب

كأنهـــا كافـــــورة لها غشـــاء من ذهـــب

قلت: وردت لفظة الأترجة في الشِّعر الجاهلي في بيت لعلقمة بن عبدة هو قوله:

يحملـــن أترجّة نضـــخ العبير بها كأن تَطيابها في الأنف مشموم[١٠]

وذكره ابن قتيبة في "أدب الكاتب" ضمن ما يهمز من الأسماء التي يبدل العوام همزها أو تسقطها[١١]. ولم يُشَر إلى ذلك في المعجم.

٣ – التعبيرات والتراكيب المجازية:

من محاسن هذا المعجم اشتماله على عدد غير قليل من التعبيرات والتراكيب المجازية التي وردت في النثر أو الشِّعر، غير أن مما يلاحظ أن معظم هذه النماذج قد بُثّت في المعجم دون مراعاة لسياقها التاريخي، وأحيانًا دون تنبيه على وظيفتها المجازية؛ وسنعرض لبعض هذه النماذج مما يتصل منها بموضوع الاستشهاد بشِعر المولدين أو المعاصرين.

أديم الأرض: قال في **المعجم الكبير** (١٥٣/١): "والأديم من كل شيء ظاهره، يقال أديم الأرض" ثم أورد بيت الأعشى:

يوما تراها كأردية الخمـــــس ويوما أديمها نغلا

كما أورد بيت المعري:

خفف الوطء ما أظن أديم الـــــأرض إلا من هذه الأجساد

قلت: القول بأن الأديم من كل شيء ظاهره لم أجد له سندًا في معجماتنا العربية، وقد صرح علماؤنا القدماء بأن تعبير (أديم الأرض) استعمل على سبيل المجاز. جاء في **التاج**: "ومن المجاز الأديم من الضحى أوله، حكى اللحياني: جئتك أديـــمَ الضحى، أي عند ارتفاع الضحى، ومن المجاز الأديم من السماء والأرض ما ظهر منهما، وفي **الصحاح** "وربما سمي وجه الأرض أديمًا"(١٢) ثم أورد بيت الأعشى السابق.

وقال الثعالبي في "المضاف والمنسوب": "(أديم الأرض) يدخل من باب الاستعارة، كما يقال أديم السماء، وأديم الأرض لما حسن". وذكر بيت الأعشى ثم قال: "وفي استعارة الأديم لغير الأرض يقول بعض الكتّاب: "كثرة العتاب تنغل أديم المودة"(١٣).

قلت: فأنت ترى أن إطلاق القول بأن أديم كل شيء ظاهره ليس صحيحًا، وأن ورود الأديم مضافًا إلى الأرض أو السماء هو استعمال مجازيّ قد لا يرد في غيرهما بهذا المعنى، فباب المجاز واسع، ومما لا شك فيه أن (أديم الضحى) ليس ظاهره وإنما هو أوله، و(أديم المودة) في قول الكاتب لا يعني ظاهر المودة بقدر ما يعني وجودها.

والأمر الثاني: أن الاستشهاد ببيت أبي العلاء لم يُضِف إلى الصناعة المعجمية شيئًا، فالتركيب ليس من ابتكارات المعري؛ فإلى جانب سبق الأعشى له نجد الاستعمال أيضًا عند الشعراء العباسيين كأبي نواس في قوله:

قد أسحب الزّق يأباني وأُكْرِهُه حتى له في أدم الأرض أخدود[١٤]

إليك عني: جاء في **المعجم الكبير** (٤٥٣/١): "ويقال إليك عني في طلب التنحّي"، وذكر حديثًا في استعمالها، ثم أورد شاهدًا للمتنبي هو قوله:

إليــك فإني لســت ممن إذا اتقى عضاض الأفاعي نام فوق العقارب

قلت: استعمال اسم الفعل هذا مألوف في عصور الشّعر العربي المختلفة، والاقتصار على شاهد للمتنبي قد يوحي -من الناحية التاريخية- بعدم وروده عند غيره.

وقد ورد الاستعمال في شِعر الجاهلية في قول النابغة:

ألكني يا عيــن إليــك قولا سأهديه إليك.. إليك عني[١٥]

وفي شِعر المجنون:

إليــك عني (إني) هائــم وصب أما ترى الجسم قد أودى به العطب[١٦]

وإن كان القصد من إيراده التمثيل على طريقة الاستعمال، فإن ما ورد في بيت المتنبي يمثل صورة واحدة من صور استعمال هذا التعبير في الشّعر العربي. فقد تفنن الشعراء في صياغته، فتارة يأتون به كما ورد في الأبيات السابقة، وتارة يُدخلون كلمة بين "إليك" و "عني"، كقول العباس بن الأحنف:

فقلت لها إليــك -هواك- عني فإني عن هــواك لذو اشتغال[١٧]

وتارة يقدّمون "عني" كما في قول أبي تمام:

عني إليــك فإني عنــك في شغل لي منه يوم يبكي مهجتي وغد[١٨]

وأحيانًا يكررون كلمة "إليك" كما في قول أبي العتاهية في أرجوزته ذات الأمثال:

إليك يا دنيـــا إليـــك عني ماذا تريدين، تخلي مني[١٩]

شامخ الأنف: جاء في **المعجم الكبير** (٥٥٧/١) "ويقال شمخ فلان بأنفه: رفع رأسه متكبرًا، وهو شامخ الأنف: مترفع معتز بنفسه"، ثم استشهد ببيت للبهاء زهير:

كامل الظرف أديب شامخ الأنف أشمّه

قلت: التعبير مألوف في الشّعر العربي، وقد ورد فيه قبل البهاء زهير بقرون، في شِعر عبيد بن الأبرص:

في روابي عُذْملي شامخ الأنف فيه إرث مجد وجمال[٢٠]

وحبذا لو كان التمثيل من شِعر البهاء يمثل استعمالاً نادرًا أو متصلاً بلغة عصره، فذلك أجدر بالتمثيل.

أنف البرد: جاء في المعجم الكبير (٥٥٩/١) وأنف البرد أوله وأشدُّه، قال أبو العلاء المعري:

متى ذنّ أنـــف البرد سرتم فليته عقيب التنائي كان عوقب بالجدع

قلت: مراعاة للجانب التاريخي لاستعمال هذا التركيب نشير إلى أن أبا العلاء لم يكن أول من استعمله، فقد سبقه إليه ذو الرمة في قوله:

إذا شمّ أنـــف البرد ألحق بطنه مراس الأوابي وامتحان الكواتم[٢١]

ومما يستدرك على "المعجم" في هذا الصدد أن الأنف قد ورد عند العرب في استعارات كثيرة، كان من المستحسن تضمين معظمها في هذا المعجم الموسوعي الكبير، من ذلك قول الرسول صلى الله عليه وسلم: "جدع الحلال أنف الغيرة"، وذكر الثعالبي في (ثمار القلوب) أن استعارة الأنف للكرم من ابتكارات بشار بن برد في قوله:

ألا أيها السـائلي جاهلا ليخبرني أنا أنـف الكرم

وقوله لأبي عمرو بن العلاء:

أنت أنـف الجود إن زايلته عطس الجود بأنف مصطلم

قال الثعالبي: "ثم تبعه ابن الرومي وزاد عليه وأحسن في قوله:

لو كنت عين المجد كنت سوادها أو كنت أنف الجود كنت المارنا"

وقد أورد الثعالبي جملة من هذه الاستعارات، مشيرًا إلى أن الناس قد تصرفوا في استعارة الأنف بين الإصابة والمقاربة(٢٢).

- ٣ -

نتائج البحث

يتضح من دراستنا لشواهد شِعر المولدين والمعاصرين في **المعجم الكبير** ما يأتي:

١- لم يوضح المعجم المعايير التي ارتضاها مؤلفوه لاختيار الشواهد بصفة عامة، والغرض من إيرادها في المعجم، والحدود التي التزموها في ذلك.

٢- ورد معظم هذه الشواهد للتدليل على ألفاظ أو تراكيب كانت قد وردت عند الشعراء المحتج بشِعرهم. وذلك قد يوحي بعدم ورود المواد اللغوية المستشهد لها عند أولئك الشعراء القدماء، مما يتعارض مع الهدف التاريخي للمعجم.

٣- لا تمثل معظم الشواهد المنسوبة إلى الشعراء المولدين والمعاصرين عصورهم، فليس في هذه الشواهد ما يعبّر عن ألفاظ أو تراكيب تنتمي إلى تلك العصور، أو ابتكارات لهؤلاء الشعراء؛ وبهذا يمكن أن يقال إن المعجم فيما يخص الشواهد كان محافظًا إلى حد بعيد، على الرغم من

أنه أورد شواهد كثيرة للمولدين والمعاصرين. وهذا يتعارض مع قول رئيس مجمع اللغة العربية في مقدمته للمعجم: "وينبغي أن يعبّر المعجم الحديث عن عصور اللغة جميعًا، وأن يستشهد فيه بالقديم والحديث على السواء". من ذلك مثلاً أن المعجم أورد كلمة "الأزل" ذاكرًا قول ابن فارس في عدم قياسيتها، وقول الزمخشري: إن اللفظ مصنوع، ليس من كلام العرب وكأنهم نظروا في ذلك إلى لفظ (لم أزل)، لكن المعجم لم يورد شاهدًا عليها سواء من النثر أو الشِّعر منسوبًا إلى من استعملها من العلماء أو الأدباء، وقد وردت بالنسبة إليها عند أبي العلاء في شِعره، وذلك في قوله:

لقـــد فرعتنـــا قـــدرة **أزليـــة** فعشنا وعدنا راجعين إلى القنس[٢٣]

وقوله:

وصفت لقـــوم رحـــمة **أزليـــة** ولم تدركي بالقول أن تصفيها[٢٤]

وقد وفق المعجم في الاستشهاد على لفظة (الأستاذ) ببيت للمتنبي، ولكن الكلمة وردت في الشِّعر المنسوب للإمام الشافعي في قوله:

أخي لن تنال العلم إلا بستـــة سأنبيك عن تفصيلها ببيان

ذكاء وحرص واجتهاد وبلغة وصحبة **أستاذ** وطول زمان[٢٥]

وهنالك استعمالات كثيرة للشعراء المولدين، وتصرف في بعض الألفاظ أو التعبيرات قد لا تكون سُمعت من العرب، ولكنهم قاسوها على كلام العرب فلم يضمّها المعجم؛ فمن استعمالات بشار وابتكاراته إطلاقه كلمة "الإطار" على حوض الماء في قوله:

وكنت إذا ظمئت إلى قـــراح شركت الكلب في ذاك **الإطار**[٢٦]

٤- لم يخدم الجانب التاريخي للألفاظ والتراكيب بالقدر الكافي، فقد استفاد مؤلفو المعجم من القطعة التي صنعت من جذاذات معجم فيشر، لكن لم تبذل جهود واضحة للتقدم خطوات نحو هذا الهدف، على الرغم من أن الوسائل المتاحة الآن خير منها عندما كتب فيشر جذاذاته.

٥- أكثر المعجم من الاستشهاد بالشِّعر المولد أو المعاصر على ألفاظ مألوفة في جميع عصور العربية، دون فائدة حقيقية للأبيات المستشهد بها، فهي لا تؤرخ للفظة ولا توضح استعمالها في سياق معين، ولا تدل على تغير حقيقي أو مجازي طرأ عليها، مما يوحي بأن الشاهد مقصود لذاته، مع أن المفترض أن يكون للشاهد وظيفة معجمية محددة.

وأخيرًا فإن المعجم الكبير عمل ضخم نهض به -مشكورًا- مجمع اللغة العربية في القاهرة، وأحرى بمثل هذا العمل الكبير أن يردد النظر فيه بين حين وآخر، وأن يستفاد في إعداده من المعطيات الحديثة، وبخاصة ما يعين منها على توثيق الألفاظ والتراكيب وربطها بعصورها التاريخية، بعد أن أصبح الوصول إلى ذلك أسهل من ذي قبل. والله ولي التوفيق.

الهوامش:

(١) **ديوان عبيد بن الأبرص**، تحقيق د. حسين نصار، القاهرة: مكتبة مصطفى البابي الحلبي، سنة ١٣٧٧هـ/١٩٥٧م، ص ١٣.

(٢) **ديوان الراعي النميري**، تحقيق ر. فايبرت، بيروت: ١٤٠١هـ/١٩٨٠م، ص ١٩٨.

(٣) **ديوان عمر بن أبي ربيعة**، نشر محمد محيي الدين عبدالحميد، القاهرة: المكتبة التجارية الكبرى، سنة ١٣٧١هـ/١٩٥٢م، ص ١٥٠.

(٤) **ديوان بشار بن برد**، تحقيق محمد الطاهر بن عاشور، تونس: الشركة التونسية للتوزيع، سنة ١٩٧٦م، ١/٢٧٦.

(٥) **ديوان ابن حيوس**، تحقيق خليل مردم بك، بيروت: دار صادر، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م، ١/٣٢٩.

(٦) ابن دريد، **الجمهرة في اللغة**، طبعة مصوّرة، بغداد: مكتبة المثنى، د.ت.، ١/١٧.

(٧) **ديوان رؤبة بن العجاج** (ضمن مجموع أشعار العرب)، تحقيق وليم بن الورد البروسي، ليبزج، ١٩٠٣م.

(٨) **ديوان أبي تمام**، تحقيق محمد عبده عزام، ط٤، القاهرة: دار المعارف، د.ت.، ٢/٤٣٣.

(٩) **ديوان البحتري**، تحقيق حسن كامل الصيرفي ٣١، القاهرة: دار المعارف، د.ت.، ٣/١٥٦٤.

(١٠) **ديوان علقمة الفحل**، تحقيق لطفي الصقال ودرية الخطيب، حلب: دار الكتاب العربي، سنة ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م، ص ٥١.

(١١) ابن قتيبة، عبدالله بن مسلم، **أدب الكاتب**، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد، ط٤، القاهرة، مطبعة السعادة، سنة ١٣٨٢هـ/١٩٦٣م، ص ٢٨٥.

(١٢) الزبيدي، محمد مرتضى، **تاج العروس من جواهر القاموس**، (أدم).

(١٣) الثعالبي، عبدالملك، **ثمار القلوب في المضاف والمنسوب**، تحقيق محمد أبوالفضل إبراهيم، القاهرة: دار نهضة مصر، ١٣٨٤هـ/١٩٦٥م، ص ٥١٥.

(١٤) **ديوان أبي نواس الحسن بن هانئ الحكمي**، تحقيق إيفالد فاجنر، النشرات الإسلامية، فيسبادن، سنة ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، ٣/١١٨.

(١٥) **ديوان النابغة**، مرجع سابق، ص ١٩٧.

(١٦) **ديوان مجنون ليلى**، جمع عبدالستار أحمد فراج وتحقيقه، القاهرة: مكتبة مصر، د.ت.، ص ٤١. ورد البيت بدون كلمة (إني) فبدا مكسورًا، وقد أضفناها كي يستقيم الوزن.

(١٧) **ديوان العباس بن الأحنف**، بيروت: دار بيروت للطباعة والنشر، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م، ص٢٤٥.

(١٨) **ديوان أبي تمام**، مرجع سابق، ٧٥/٤.

(١٩) **أبو العتاهية: أشعاره و أخباره**، تحقيق د. شكري فيصل، دمشق: مكتبة دار الملاح، د.ت.، ص ٤٥٥.

(٢٠) **ديوان عبيد بن الأبرص**، مرجع سابق، ص ١١٨.

(٢١) **ديوان ذي الرمة**، تحقيق د. عبدالقدوس أبوصالح، دمشق: مجمع اللغة العربية، سنة ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م، ٧٦٦/٢.

(٢٢) **ثمار القلوب في المضاف والمنسوب**، مرجع سابق، ص ٣٣٠.

(٢٣) المعري، أبو العلاء، **اللزوميات**، تحقيق د. عمر الطباع، بيروت: دار الأرقم، د.ت.، ٢٨/٢.

(٢٤) نفسه، ٤٣٥/٢.

(٢٥) ديوانه، جمع محمد عفيف الزعبي، حمص: مكتبة المعرفة، جدة: دار العلم، سنة ١٣٩٢ هـ/١٩٧٢م، ص٨١.

(٢٦) ديوانه، مرجع سابق، ٢٠٩/٣.

خصائص طريقة ابن البواب في الكتابة

بقلم: هلال ناجي

بلغ خط الوزير ابن مقلة من الإتقان والذيوع والإبداع حدًّا جعل زنجي الكاتب البليغ يقول لأبي حيان التوحيدي: "أصلحُ الخطوط وأجمعُها لأكثر الشروط ما عليه أصحابنا بالعراق، فقلت: ما تقول في خط ابن مُقلة؟ قال: أفرغَ الخط في يده كما أُوحِيَ إلى النحل في تسديس بيوته"[١].

وحدًّا دفع الثعالبي إلى القول: "وخطُّ ابن مقلة يُضربُ مثلاً في الحسن، لأنه أحسنُ خطوط الدنيا، وما رأى الراؤون، بل ما روى الراوون مِثلَه في ارتفاعه عن الوصف وجَرْيه مجرى السِّحر"[٢]. حتى قال الإمام الزمخشري: "في خطِّه حظٌّ لكلِّ مقلة، كأنه خطُّ ابن مقلة"[٣].

وابن مقلة وإن لم تصلنا حتى اليوم نماذج من خطِّه ثابتة النسبة إليه، إلا أن طريقته في الكتابة معروفة، وقواعدها مألوفة فيما وصلنا من مختصر كتابه **جمل الخط** المفقود في زماننا، والذي نشرتُ مختصره بعنوان "رسالة ابن مقلة في الخط والقلم"[٤]، وفيما وصلنا أيضا من نماذج قلمية كُتبت على طريقته أبرزها ما وجد في مكتبة والد جدّي أمير الخطاطين في عصره المرحوم السيد عبدالوهاب بن السيد عبدالرزاق الشقاقي العلوي.

والمؤرخون يرون أن ابن البواب هذَّب طريقة ابن مقلة ونقَّحها وكساها طلاوة وبهجة[٥].

ويرى القزويني "أن ابن البواب نقل طريقة ابن مقلة إلى طريقته التي عجز عنها جميعُ الكتّاب من حسنها وحلاوتها وقوّتها وصفاتها، فإنه لو كتب حرفًا واحدًا مئة مرة لا يخالف شيء منها شيئًا؛ لأنها قُلبت في قالب واحد، والناس كلهم بعده على طريقته"(٦).

والسؤال الذي يطرح نفسه: ما هي طريقة ابن البواب في الكتابة التي هذّبت طريقة ابن مقلة؟ وما كُنْه هذا الرونق وتلك البهجة اللتان كسا بهما طريقة ابن مقلة؟

إن الإجابة على هذا السؤال تقتضي الرجوع إلى رأي عالم معاصر لابن البواب حاول بألفاظ قليلة أن يكشف كُنْه هذا التهذيب الذي تمّ على يد علي بن هلال، فقال: "وأما الشيخ ابن البواب، فوجد الناس قد اجتهدوا قبله في إصلاح الكوفي، واقبلوا على ترطيب الكتابة للسرّ الخفيّ: وهو حبُّ النفس للرطوبة؛ لأنها مادة الحياة، وهي لدونة الخط وريُّه، وألاّ يُرى من خارج زواياه. وكانت أسباب إتقان هذه الصناعة قد كمَّلها الله له بأسْرِها، وأراده لهذه المرتبة فشدّ لها أسره وأطلعه على سرِّها، فرأى ابنَي مقلة قد أتقنا قلمي التوقيعات والنسخ، لكن لم يرسخا -رحمهما الله- في إتقانهما ذلك الرسخ، فكمّل معناهما وتمّمه، ووجد شيخه ابن أسد يكتب الشّعر بنسْخ قريب من المحقّق فأحكمه، وحرَّر قلم الذهب وأتقنه، ووشّى بُردَ الحواشي وزيَّنه، ثم برع في الثُّلث وخفيفه، وأبدع في الرقاع والريحان وتلطيفه، وميّز قلم المتن والمصاحف، وكتب بالكوفي فأنسى القرن السالف"(٧).

ربما كنا نستطيع من خلال أمرين:

أولهما: دراسة النماذج الخطية التي وصلتنا، الثابتة النسبة إلى ابن البواب، وهي:

١- القرآن الكريم المحفوظ في مكتبة جستر بتي بدبلن في إرلندة، وقد كتبه في بغداد سنة إحدى وتسعين وثلثمائة بالخط النسخي، واستعمل نوعًا من الثلث في عناوين الصفحتين الأوليين. والخط الذهبي المدور لبقية عناوين السُّوَر إشارة لأجزائه الثلاثين، ونوعًا من الخط الكوفي في الدوائر ليشير بها إلى كل عاشر آية والسجدات، ونوعًا آخر يشبه الكوفي للألفباء في الجداول، وخطًا أشبه بالرقعة في الأماكن الضيقة للجداول نفسها(٨).

٢- شِعر سلامة بن جندل ومنه خمس نسخ في الآستانة محفوظة في خزانة كتب قصر بغداد بمتحف سراي طوب قَبُو كُتبت في شهر رمضان من سنة ثمان وأربع مائة(٩).

٣- رسالة أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ في مدح الكتب والحث على جمعها، وهي محفوظة في خزانة متحف الآثار التركية الإسلامية بالآستانة(١٠)

٤- دعاء روي عن زيد بن ثابت: وهو لدى بهاء أرسين في مجموعته الخاصة بالآستانة(١١).

وثانيهما: دراسة واستبطان ما خلّفه ابن البواب من آراء في الخط أبرزها:

أولاً: قصيدته الرائية وشروحها: فقد شرحها ثلاثة أعلام جمعوا بين العِلم والخطّ، هم على ترتيب وفياتهم:

١- محمد بن شريف بن يوسف الزرعي، المعروف بابن الوحيد، الدمشقي مولدًا، العراقي دراسة، المصري مسكنًا ومدفنًا (٦٤٧-٧١١هـ) وكان من تلامذة ياقوت المستعصمي.

٢- موسى بن علي، الشهير بابن بُصيص الدمشقي (٦٥١-٧١٦هـ)

٣- الشيخ برهان الدين بن عمر الجعبري المتوفى سنة ٧٣٢هـ، وقد ذُكر شرحه هذا في كشف الظنون[١٢] وفي إيضاح المكفوف[١٣].

وقد ذكر الشيخ الأثري في تعليقاته القيّمة التي ذيّل بها كتاب "الخطاط البغدادي علي بن هلال" شرحيْ الجعبري وابن الوحيد، وقال: ولم تكشف مظانٌّ وجود هذين الشرحين بعدُ[١٤].

ويقول هلال بن ناجي: أما شرح ابن الوحيد على رائية ابن البواب، فقد ظفرتُ به ونشرته محققًا في تونس عام ١٩٦٧م.

كما ظفرتُ بمخطوط في مكتبة عارف حكمت بالمدينة المنورة لمجهول، قام بنسخ رائية ابن البواب ووضع لها شرحًا جمعه من شرحيْ ابن بُصيص وابن الوحيد. وقد نشرت هذا المخطوط وعنوانه "شرح المنظومة المستطابة في عِلم الكتابة" في بغداد عام ١٩٨٦م في العدد الخاص بالخط من مجلة **المورد**. وأما شرح الجعبري، فلم تكشف مظنّة وجوده حتى اليوم.

ثانيًا: وتلي القصيدة الرائية في الأهمية آراء ابن البواب المتناثرة في بعض المصادر.

ثالثًا: ويمكن أن نضيف إلى ما تقدم مقدمة **رسالة في علم الكتابة** لابن البواب، أثبت ياقوت مقدمتها، ولم تصلنا، ولو أنها وصلت لعرفنا الكثير عن طريقة ابن البواب في الخط[١٥]. ذلك أن طريقة ابن البواب قد انتشرت

وشاعت في شتى أرجاء الوطن العربي، واتبعها الخطاطون العرب وتقبّلوها. في حين اتبع العجم طريقة "ياقوت"؛ وإلى هذا أشار زين الدين الآثاري في ألفيته الشهيرة في الخط، إذ قال[١٦]:

وإنمـــا عرّبـــه "أبو علـــي" وبَعْدَهُ فَصّلَهُ المولى "علي"
واختلفت في وضعه الطرائقُ على ثلاثٍ أمَّها الخلائقُ
لابنِ هلالٍ عَرَبًا، وللعَجَمْ ياقوتُ، والعمادُ بالوَضْعِ خَتَمْ

رابعًا: النماذج القلمية التي خلّفها الخطاطون على طريقة الأستاذ ابن البواب، وهي كثيرة وأبرزها النماذج التي أثبتها محمد بن حسن الطيبي -من رجال القرن العاشر- في كتابه **جامع محاسن كتابة الكتّاب**[١٧].

لكنني من خلال جولتي الواسعة عبر أراجيز الخط العربي التي حفظت لنا قواعده، ظفرتُ بأرجوزة هي في غاية الأهمية، كتبها عراقي هو الإمام محمد بن الحسن السنجاري الذي كان حيًّا سنة ٨٤٦هـ[١٨]. فقد استطاع ناظمها الوقوف على آراء بالغة الأهمية لإمامين من أئمة الخط هما علي بن هلال وياقوت (وأرجح أنه ياقوت المستعصمي، لأنه ترك رسالة في الخط). فضمن أرجوزته تلك الآراء الأصيلة في قواعد الخط. وابتدع الناظم طريقة للفصل بين هذه الآراء، وردّ كلاً منها إلى صاحبها؛ خلاصتها أنه رمز لابن البواب بالحرف هـ ولياقوت بالحرف ياء، وكان يضع الرموز في أول البيت على هامشه الأيمن إشارة إلى صاحبه من الخطاطين الشهيرين. فإذا ما اتفق الخطاطان على رأي واحد كان يقرن الرمزين معًا هكذا: ي هـ.

ومن دراسة الأرجوزة المذكورة، والتي حفظت لنا آراء نفيسة كانت قد ضاعت بضياع أصولها، اتضح لي ما يلي:

١- أن ابن البواب انفرد ببعض الآراء.

٢- وأن لابن البواب ولياقوت معًا آراء متماثلة في بعض قواعد الخط، ولأن ابن البواب أسبق تاريخًا بكثير من صاحبه، فيصح القول بأن هذه الآراء هي لابن البواب أصلاً، وقد تابعه ياقوت عليها.

٣- وأن ياقوتًا انفرد بالقليل من الآراء الخاصة.

سأحاول من خلال دراسة ما تقدم ذكره الوقوف على الخصائص الفنية لطريقة ابن البواب في الخط والكتابة.

وابتداءً يُخطئ من يظن أن رائية ابن البواب تكشف الخصائص الفنية لطريقته في الخط والكتابة، فالرائية تتحدث عن صفات الأقلام والبراية والجلفة والشحمة والشق والقط؛ وكلها تخص القلم. ويصرح ابن البواب بأنه لن يبوح بسرّ القط؛ لأنه يضنّ به، وجملته أن يكون ما بين تحريف إلى تدوير، ومعناه على ما رأى ابن الوحيد في شرحه أن لكل قلم قطّة تخصه، ثم تحدث عن الأحبار وصنعها، ثم أوصى الكاتب بالتجويد على مثال يتخذه قبل وضعه في المبيّضة، وألا يخجل من الرديء في البداية؛ فالأمر يبدو صعبًا ابتداءً، ثم يغدو سهلاً؛ فإذا أدرك الكاتب بغيته في إجادة الخط شكر ربّه تعالى على نعمته، وحث الطالب على أن تخلف بنانه خيرًا في هذه الدنيا الفانية.

من هذا التلخيص السريع، يتضح أن رائية ابن البواب التي نُشرت غير مرة، وشرحها أعلام ثلاثة، لم تتضمن مطلقًا شيئًا يكشف ويشف عن الخصائص الفنية لطريقة ابن البواب في الكتابة.

إن ابن البواب نفسه يقرّ -في حكاية مفصّلة رواها عن مصحف ناقص بخطّ ابن مقلة عثر عليه في مكتبة بهاء الدولة بن عضد الدولة البويهي بشيراز، حين كان أمينًا لها- أنه ظفر بتسعة وعشرين جزءًا من هذا المصحف النفيس بعد طول تفتيش، واحتال حتى أقنع الأمير بأن يتمم الجزء الناقص، فأمر بأن يتممه، فأجاب ابن البواب: السمع والطاعة، ولكن على شريطة أنك إذا أبصرت الجزء الناقص منها ولا تعرفُه أن تعطيني خِلْعَةً ومئة دينار. قال الأمير: افعل. فاختار ابن البواب من الورق العتيق ما ناسب الأجزاء المكتوبة، وكتب الجزء الناقص وذهّبه وعتّق ذهبه، وقلع جلدًا من جزء من الأجزاء فجلّده به، وجلّد القديم الذي نُزع جلده بجلد آخر وعتّقه. ومضى على ذلك نحو السنة، سأله الأمير عمّا صنع فجاءه بالمصحف كاملاً، فقلّبه الأمير جزءًا جزءًا، وهو لا يقف على الجزء الذي كُتب بخط ابن البواب، ثم قال له: أيما الجزء الذي بخطك؟ قال ابن البواب: خيرٌ ألاّ تعرفه فيصغر في عينك، هذا مصحف كامل بخط ابن مقلة، ونكتم سرّنا. قال الأمير: افعل. وظلّ الأمير البويهي يماطل في إنجاز وعده بالخلعة والدنانير، حتى آثر ابن البواب أن يأخذ بديلاً لها ورقًا مقطوعًا، فاستجاب لطلبه(١٩).

إذن فالإمام الذي قلّد ابنُ البواب خطَّه، فأتقن تقليده هو ابن مقلة. ولكن ابن البواب -على ما رأى المؤرّخون- قد هذب طريقة ابن مقلة

ونقّحها وكساها طلاوة وبهجة، فما هي خصائص طريقته هذه التي عدّها المؤرّخون تطويرًا لطريقة ابن مقلة، والتي سار عليها العرب في شتى أقطارهم حتى اليوم؟

إن المحاولة الوحيدة -فيما نعلم- لدراسة خصائص خط ابن البواب من خلال بعض مخطوطاته، جاءت فيما كتبه المستشرق D. C. RICE في كتابه المذكور في الهامش الثامن من بحثنا هذا، عن المصحف الشريف الذي خطه ابن البواب، والمحفوظ في مكتبة جستر بتي بدبلن. ويبدو بوضوح أن هذه المحاولة الرائدة الفريدة كان كاتبها المستشرق (رايس) قد تأثر فيها بآراء أبي حيان التوحيدي التي ساقها عند حديثه عن شرائط الكتابة الجيدة في رسالته في علم الكتابة، فقول التوحيدي[٢٠]: "*وأمّا المراد بالتحديق فإقامة الحاء والخاء والجيم على تبييض أوساطها... حتى تكون كالأحداق المفتحة*". هذا القول للتوحيدي يستعمله (رايس) إذ يقول في دراسته: "*فالأحرف الحاء والخاء والجيم قد وزنت مقابل الأحرف الأخرى بحيث إنها تشبه مقلة العين المفتوحة*". فالتوحيدي يستعمل عبارة "الأحداق المفتحة" و (رايس) يستعمل تعبير (مقلة العين المفتوحة).

والتوحيدي يقول في وصف الكتابة الجيدة (ولا يخص بذلك ابن البواب) ما نصه: "*وأما المراد بالتعريق فإبراز النون والياء وما أشبهها مما يقع في إعجاز الكلمة مثل من وعن وفي ومتى وإلى وعلى بما يكون كالمنسوج على منوال واحد*". فيأخذ رايس هذا التعبير فيصف به الحروف المذكورة من خط ابن البواب، إذ يقول: "*والأحرف النون والياء في*

الكلمات من، على، أن، حتى، إلى، عملت بصورة كأنما نسجت على نول واحد".

والتوحيدي يقول: "وأمّا المراد بالتحديق فإدارة الواوات والفاءات والقافات وما أشبهها... بما يكسبها حلاوة ويزيدها طلاوة".

يأخذ (رايس) هذا الوصف ويصرفه إلى خط ابن البواب فيقول: "والأحرف الواو والفاء والقاف دُوِّرت في طريقة جميلة".

ويقول التوحيدي في رسالته[٢١]: "وأمّا المراد بالتشقيق فتكنف الصاد والضاد والكاف والطاء والظاء وما أشبه ذلك مما يحفظ عليها التناسب والتساوي".

أخذ المستشرق رايس هذا التعبير وطبقه على خط ابن البواب في مصحفه الفريد، فقال: "والأحرف الصاد والضاد والكاف والطاء والظاء بنسب مضبوطة، وبتوازن كامل مع بقية الأحرف".

ويقول التوحيدي في رسالته[٢٢]: "وأمّا المراد بالتوفيق فحفظ الاستقامة في السطور من أوائلها وأواسطها وأواخرها وأسافلها وأعاليها بما يفيدها وفاقًا لا خلافًا".

أخذ (رايس) هذا التعبير فنقله إلى خط ابن البواب فقال: "وإن سطور الكتاب مستقيمة جدًّا في البداية والوسط والنهاية".

وقال التوحيدي في رسالته: "وأمّا المجرد بالتحقيق فإبانة الحروف كلّها... حتى كأنها تبتسم عن ثغور مُفَلَّجة أو تضحك عن رياض مدبجة".

أخذ (رايس) هذا التعبير فنقله إلى خط ابن البواب فقال: "والأحرف رُتّبت بصورة دقيقة حيث كأنها تبتسم أظهرت الأسنان الأمامية".

والخلاصة: فإن الخصائص التي اشترطها التوحيدي للكتابة الجيدة أخذها المستشرق رايس وفسّر بها خصائص كتابة ابن البواب في القرآن الكريم، المحفوظ في مكتبة جستر بتي في دبلن.

جُمّاع ما تقدم: إنه لا رائية ابن البواب ولا دراسة (رايس) لنسخة المصحف الكريم، الموجودة في دبلن، توضحان شيئًا من خصائص الكتابة عند ابن البواب.

لكننا من خلال دراسة هذا النص الفريد الذي خلّفه لنا الإمام محمد ابن الحسن السنجاري -وهو من رجال القرن التاسع الهجري كما قلت- نستطيع التعرف على بعض خصائص طريقة ابن البواب في الخط، والتي استنبطناها من النص المذكور، ويمكن إجمالها في الفِقَر التالية:

١- قال ابن البواب عن حرف الألف: "*إنه قائم معتدل مفرد مغترب لا ينسب إليه حرف*"، وشبّهه بالراهب في محرابه، السابل الشَّعر على أثوابه، وإنه مؤلف من سبع نقط، وذكر أن الإصابة في كتابته بأن يُسلب كالحيّة سلبًا، وإن كل الخطوط ترجع إلى الألف.

٢- وفي كتابة الباء قال ابن البواب: إنك إن ركّبْتها في ألِفٍ تصير كافًا. وقال إن أصلها من ذنب الحية في التجريد، ومقدار انسطاحها كالألف، ففيها يكمن سرّ اليبس والرطوبة.

٣- وإن الجيم خطان باليمين والشمال من فوق تقويس على الكمال، وأن بياضه مثلث الأضلاع.

٤- وإن الدال خطان من فوق ومن تحت لها حلاوة بالغة.

٥- والراء تتألف من خطٍّ مقوّس كربع محيط دائرة في رأسها سُنينة مقدرة في الألف.

٦- وفي كتابة السين قال: إنها تتألّف من أربعة منتصبٍ مُقوّسٍ، وفي قول: إنها تكتب من يمين بلا تعريق وصَدْر نونٍ حسن التعريق.

٧- وإن الصاد تتألف من مقوّسين ثم منتصب قد لصقت بشكل نون.

٨- وإن الطاء كرأس الصاد.

٩- والعَين جاءت بخطين مقوّسيْن، وإنها تارة تشبه شكل نعل، وتارة تشبه الصاد، وثالثةً تُشبّهُ بفكٍّ سبعٍ ضارٍ أو فكّ ثعبانٍ، وإنها تشبه أحيانًا أذن فيل، وإنها في العين المركبة قد تشبه الشفرة.

١٠- وإن الفاء ياء رُكّبت في واو، وإن بياضه العُجمة[٢٣] من تفاحة، وإنها حين تكتب مركبة فبياضها بشكل حُمّصة.

١١- وإن القاف واو رُكّبت في نون مُعَرّق، وإن بياضَه العُجمة من سفرجلة وصدر واو.

١٢- وإنّ الكاف صدرها صاد وشكل منسطح، وإنها إن جاءت في أول الكتابة فتكون بشكل دالٍ أُلْصِقتْ بألِفٍ بياضها إحاصة. وإنها إن جاءت مفردة معلقة باءٌ ولام كُتبت محققة.

١٣- وإن اللام شكل قائم ومنسطح متكوّن من ألِفٍ ونصف نون.

١٤- وإنّ الميم مؤلف من سينٍ وراءٍ أرسلت.

١٥- وإن النون شكل مدوّر كنصف دائرة في رأسه سُنينة مُقَدَّرة، وهو مُعرّق كالحاجب المقوّس.

١٦- الهاء تكتب أشكالاً: فهي تكتب دالاً عُقِفَت شمرتُها وثُلِّثَ بياضُها. وهي إن رُكِّبت في غيرها تكتب دالاً في فاء. وحين تكون الهاء بين حرفين تشبه خصية بَغْل أو أذُنُ فحل. وحين تكون الهاء مركّبة تشبه خرطوم نملة أو صادين بلام.

١٧- ورأى ابن البواب أن حرف الواو مؤلف من خطٍّ منكَبٍّ ومن مستلقٍ ثم مقوّس، وشبّهها أيضا براءٍ شَرُفت هامته، وانعطفت عند ثُلُثه شهرتهُ. وإن الشهرة تُسلب في قلم المحقّق. وإنما في خط النسخ والريحان تشْبهُ القنفذَ إذا ما احتمع، والسَّبُع إذا أقعى عاجزًا.

١٨- اللام ألف: قال هي تشبه المقص إذا رُكِّبت، أسفلها تشبه الهاء، بياضه مثلث. وإن اللام ألفٌ إذا أتت مُركّبة في لام فاقلبهما لامَيْن في النظام، أو اجعلهما ألِفًا ولامًا فوق عين أشبه شيء بالشفرة.

١٩- أما الياء، فيرى ابن البواب أنها مؤلفة من دالين مقلوبين أشبه بالشفرة اللطيفة.

تلك هي آراء ابن البواب في الخط والتي جسّدها في طريقته في الكتابة.

٢٠- وثمة آراء له شَكّلتْ في مجملها بعض خصائص خطّه في الحروف المفردة والمركّبة والمولّدة. فهو يرى أنه في وضع الحروف تجب مراعاة خمسة أشياء: الإشباع والإتمام والإرسال والإكمال وتقسيم البياض في الترتيب. وأوصى بأن يُعطى الحرفُ حَظّه من الإتمام من غير توقّف ولا إحجام. وإن على الكاتب أن يمنح الحرف ذا التقويس والتسطيح والانكباب جودةَ التصحيح. وإن ورد مستلقيًا كمِّل له موفيًا، فإنّ لكلّ حرف قسمة أشبعها بصدر قلمك، محافظًا على نسبة التساوي حتى لا تتنافر الحروف، فيجيء في

بعضها غِلظٌ وفي بعضها سَقَمٌ أو نحول، وأسرع في كتابة المرسل بلا توقف. وفي المفصل، أوصى بتحسين المدّات وبانتظام السطور دون تعويج.

٢١- وأخيرًا فإنني وجدتُ من أجود أقواله التي جسّدها في خطّه قوله:

"المطُّ نصف الخطّ والتسوية شرط"(٢٤).

هذا ما استطعت استنباطه من خصائص الكتابة عند ابن البواب الذي وُصف بأنه "قَلَمُ الله في أرضه". وإني أستغفر الله من علْم ادّعيته، أو وهْم أوقعني فيه خطأ في الاجتهاد. وآخر دعواي أن "الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ".

الهوامش:

(١) **رسالة في علم الكتابة**، لأبي حيان التوحيدي بتحقيق إبراهيم الكيلاني، ص ٥٠.

(٢) **ثمار القلوب في المضاف والمنسوب** للثعالبي، بتحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم، ص ٢١٠.

(٣) **أساس البلاغة** للزمخشري، مادة (مقل) ٢/٣٩٥.

(٤) انظر كتابنا "**ابن مقلة خطّاطًا وأديبًا وإنسانًا**"، بغداد، ١٩٩١م.

(٥) **وفيات الأعيان**، ٣/٣٤٢.

(٦) **آثار البلاد وأخبار العباد**، زكريا بن محمد القزويني، ص ٣٢٧.

(٧) **رسالة في الكتابة المنسوبة** -لمجهول- حققها د. خليل محمود عساكر، مجلة معهد المخطوطات، مايو ١٩٥٥م.

(٨) The Unique Ibn Al-Bawwab Manuscript in the Chester Beaty library, by D. S. Rice.

(٩) انظر وصفها التفصيلي في كتاب "الخطاط البغدادي علي بن هلال"، تأليف أ.سهيل أنور، وترجمة الأثري وعزيز سامي، ص ٢٦-٢٨.

(١٠) المرجع السابق، ص ٢٩.

(١١) المرجع السابق، ص ٣٣.

(١٢) **كشف الظنون**.

(١٣) **إيضاح المكنون**.

(١٤) **الخطاط البغدادي**، ص ٣٠.

(١٥) **معجم الأدباء**، ١٥/١٣٠-١٣٢.

(١٦) **العناية الربانية في الطريقة الشعبانية** لشعبان بن محمد الآثاري بتحقيق هلال ناجي، ص ٢٢٨.

(١٧) نشره في بيروت سنة ١٩٦٢م الدكتور صلاح الدين المنجد.

(١٨) نُشِرَتْ هذه الأرجوزة ببغداد سنة ١٩٨٦م بعنوان (بضاعة المجوِّد في الخط وأصوله) في مجلة المورد بتحقيق هلال ناجي.

(١٩) **معجم الأدباء** ١٥/١٢٢-١٢٤.

(٢٠) **رسالة في علم الكتابة**، ص ٤٤.

(٢١) **رسالة في علم الكتابة**، ص ٤٥.

(٢٢) نفس المرجع، ص ٤٥.

(٢٣) العُجمة: النواة من كل فاكهة، وجمعُها عُجام.

(٢٤) **منهاج الإصابة في معرفة الخطوط وآلات الكتابة**، لمحمد بن أحمد الزفتاوي، بتحقيق هلال ناجي، بغداد، ١٩٨٦م.

نظرات في ديوان الأحنف العكبري (ت ٣٨٥هـ)

تحقيق أ. سلطان بن سعد السلطان

(٣)

بقلم: د. عبدالعزيز بن ناصر المانع

تحدثت في الحلقتين السابقتين عن الملاحظات العامة على تحقيق الديوان، كما خصصت المقدمة بما لاحظته عليها من سهو في القراءة أو الوزن أو نحو ذلك. وابتداء من هذه الحلقة سأتحدث عن الديوان نفسه، وذلك ببيان بعض ما يعن لي من ملاحظات على القراءة أو التعليقات أو التصحيف أو العروض، والكل كثير ولكني نظرًا للمكان المسموح به في المجلة، سأكون ضاربًا للأمثلة لا محصيًا.

أقول وبالله التوفيق:

١- الصفحة ٩٤، القصيدة الأولى: لا شك أن في الديوان خرمًا لا ندري ما قدره؛ والديوان مرتب حسب الحروف الهجائية، وقافية الهمزة بكاملها ساقطة، ويبدأ الموجود منه من قافية الباء، ولا ندري عن الكم المفقود من قافية الباء أيضًا؛ و لكن المحقق الكريم يكاد يجزم بأن القصيدة الموجودة هي القصيدة الأولى من حرف الباء، بل يذهب إلى أبعد من هذا فيجعل المفقود من القصيدة هو البيت الأول وحده، فهو يضع قوسين

معقوفتين مسبوقتين بالرقم [١]، وبينهما نقط، ثم يعلّق في الحاشية الأولى في الديوان قائلاً: (ما بين المعقوفين إشارة إلى أن القصيدة مبتورة الأول).

قلتُ: ويستخدم المحقق الكريم لفظة (معقوفين)، ولعل الصواب: "معقوفتين"، لأن القوس مؤنثة. وقد كنت أقع في الخطأ نفسه حتى عرفت الصواب.

٢- الصفحة ٩٤، قرأ صدر البيت:

وهل ذَاكَ إلاَّ مَهْمَهُ بين ثُلَّةٍ ....

بضم التاء في "مَهْمَهُ" وهي قراءة ينكسر بها وزن البيت إذ لا بد من التنوين "مَهْمَهٌ".

ثم جاء في الهامش الثاني فشرح كلمة "مَهْمَه" فقال: "المهمة المفازة البعيدة. اللسان (٥٤٢/١٣) مهمه.

ثم شرح في الهامش الثالث، وهو التالي للسابق تمامًا، كلمة "ثلة" فقال: "الثلة جماعة الغنم. والثلة أيضًا: الجماعة من الناس. والثلة: شيء من طين يجعل في الفلاة يستظلّ به" اللسان (٩٠/١١) ثلل".

قلت: والشرح إنما وضع لكي يوضح معنى البيت، أليس كذلك؟ ما معنى صدر البيت بعد هذا الشرح المستقى من لسان العرب؟

أنا لم أفهم شيئًا!

ولن يُفهم البيت إلا بمعرفة "المشار إليه" من قول الشاعر "وهل ذاك" وهو مما سقط من أول الديوان.

٣- الصفحة ٩٤، قرأ عجز البيت:

.... تطيف بها من جَانبَيْها الثّعالبُ

قلت: "جانبيها" غير واضحة في المخطوط، فالحرفان "جا" لم يظهرا إطلاقًا، فهما من اجتهاد المحقق.

أما كلمة "الثعالب" فهي كلها غير ظاهرة، بل على العكس يوجد مكانها في أصل المخطوط لازق لتمزق حدث في ذلك المكان، وقرأها المحقق الكريم "الثعالب" اجتهادًا منه لتناسِبَ قافية القصيدة. ولا أظن أنه ينبغي مؤاخذته على ذلك، بل إنه يشكر على اجتهاده، وإن كنا لا ندري مدى صحة هذا الاجتهاد، لأن هذا البيت متوقف فهمه على ما سبقه وهو ساقط من المخطوط. ينبغي، وأُلحُّ على ذلك، أن يجعل كل ما يضيفه اجتهادًا بين معقوفتين وأن يشير إلى ذلك في الحاشية، لأن القارئ، بعمله هذا، لا يدري، عند قراءته للديوان بين ما هو من نظم الشاعر وما هو من "نظم" المحقق الكريم!

٤- الصفحة ٩٤، ضبط المحقق البيت الخامس هكذا:

كما قد رأينا ناهيًا عن خِزَاية ويركبها وهو الألَدُّ المحارَبُ

بكسر الخاء في "خِزاية" وفتح الراء في "المحارَب"

قلتُ: ولعل الصواب: فتح الخاء في "خَزاية" وكسر الراء في "المحارِب". والثانية واضحٌ كسر رائها في المخطوط. وإذا كان المحقق الكريم يرى الفتح فيلزمه تعليل ذلك.

وشرح المحقق الكريم كلمة "الألَدّ" في الحاشية وأسأله: هل تحتاج هذه الكلمة إلى شرح؟ قال تعالى: "وَهُوَ أَلَدُّ الخِصَامِ" صدق الله العظيم.

٥- الصفحة ٩٤، القصيدة الثانية: قرأ عجز البيت الثاني هكذا:

.... إلا احتمـــاعٌ لأهلِهِ سَبَبُه

قلت: والواضح من عجز البيت في المخطوط هو:

.... إلا احتمــا...أهلَهُ سببه

قلتُ: وقراءة المحقق من اجتهاده أيضًا، ولا أدري على أي تقدير غير حركة اللام في كلمة "أهلَهُ" من الفتحة إلى الكسرة؟ ليته يعلل، وليته يذكر تفصيل ذلك في الحاشية بدل الشرح اللغوي الذي لا لزوم له سوى التزيد في الحواشي.

٦- الصفحة ٩٤، ومن الشرح اللغوي الذي لا لزوم له شرحه كلمة "العَوْد: الجمل المسن" ومن منا لا يفهم معنى كلمة العود؛ عامة ومتعلمين؟

٧- الصفحة ٩٤، السطر الأخير: يوجد تطبيع: إذ كُتبت كلمة "اللسان"، أي: لسان العرب،: اللسن.

٨- الصفحة ٩٥، ضبط المحقق الكريم آخر البيت هكذا:

.... وجَرَّعتني كؤوسه نَوَبُهْ

قلتُ: وقد ضُبِطت الكلمة الأخيرة في المخطوط بضم النون "نُوَبُه"، ولعله الصواب.

٩- الصفحة ٩٥، قرأ المحقق الكريم البيت:

بي جَرَبٌ وهو يَشْتكي جَرَبًا شُغْلي حِكاكي وشُغْلُه جَرَبُه

قلتُ: ينبغي أن يكتب البيت هكذا:

بي جربٌ وهو يشتكي [جربًا   شغلي] حكاكي وشُغْله جَرَبُه

لأن ما بين المعقوفتين غير واضح في المخطوط؛ والمحقق مشكور على اجتهاده بهذا الاستنتاج مستعينًا بدلالة صدر البيت وعجزه؛ ولكن ينبغي أن يشير إلى اجتهاده في الحاشية.

١٠- الصفحة ٩٥، البيت العاشر، الحاشية الثالثة: شرح المحقق الكريم كلمة "ازورار" ولا داعي لشرحها.

١١- الصفحة ٩٥، المقطوعة الرابعة، البيت الثاني: ضبط المحقق الكريم صدر البيت:

ومن دعاهم إلى فُحشٍ ومُخزية   ....

قلتُ: ولعل صواب الضبط: "ومَخزِيَة" بفتح الميم لا ضمها، وهي كذلك في المخطوط، أو الضم لكن بتعليل خطأ ضبط المخطوط.

١٢- الصفحة ٩٦، المقطوعة السادسة، البيت الأول: ضبط المحقق الكريم أول البيت هكذا:

أنصَفوني فقـــد مَلِلْتُ ....

والصواب "أنصِفُوني" بكسر الصاد، لأنه يطلب الإنصاف ولا يذكر حدوثه بدليل قوله في أول البيت الثاني:

إن قـــومًا أنصَفتُهُم ظَلَموني   ....

ثم إن أول البيت الأول قد ضُبط بكسر الصاد في المخطوط.

١٣- الصفحة ٩٦، المقطوعة السابعة، البيت الثاني:

....   وحاضِرُهُ للأَبْلهِ الغُفْلِ غائبُ

شرح المحقق الكريم، في الحاشية الثالثة، كلمة الغفل فقال: "الغفل: المقيد الذي أغفِلَ فلا يُرْجى خيره ولا يخشى شره. اللسان ٤٩٨/١١ غفل."

قلتُ:

١- كلمة "الغفل" لا تحتاج إلى شرح خاصة إذا اقترنت بكلمة "الأبله" كما في البيت.

٢- ألا يظهر للقارئ الكريم أن لا مناسبة بين الكلمة والشرح؟! كان الأوْلى إذا كان مضطرًّا للشرح، وهو ليس كذلك، أن يختار من اللسان أو القاموس ما يناسب معنى الكلمة في البيت لا ما يبعد عنه. يقول صاحب القاموس: "الْمُغَفَّلُ: من لا فطنة له" مادة: غفل. هكذا ينبغي أن تشرح الكلمة لتناسب سياق البيت.

١٤- صفحة ٩٦، الهامش الأول، قال: "حذرًا: أي أصــــلاً. اللسان (١٢٢/٤) حذر."

قلتُ: الصواب جذر، بالجيم لا بالحاء.

١٥- الصفحة ٩٧، المقطوعة الثامنة، البيت الأول: ورد هكذا في المخطوط:

يقولون: كَظمَ الغيظِ حلمٌ وعفة   وكتمان [ا َ تاد] تولَّدُ في القلبِ

وقد عدل المحقق الكريم ضبط آخر كلمة "كظمَ" من الفتح إلى الضم وأكمل الكلمة الواقعة بين معقوفتين لتصبح: "أحقاد" دون أن ينبه في الحاشية إلى "خطأ" ضبط الناسخ في الأولى وعدم وضوح الكلمة في الثانية.

١٦- الصفحة ٩٩، المقطوعة السادسة عشرة، البيت الثاني: في المخطوط:

[والعـــ دي] يوم ملهى ولا أتبَع فيـــهِ الذنـــب بالذَنـــبِ

قلتُ: وقد أكمل المحقق الكريم أول البيت ليصبح: "والعيد عندي"

كما غيّر ضبط الكلمة أول الشطر الثاني ليصبح: "أُتْبِعُ".

قلتُ: وربما كان صوابًا فيما فعل، ولكن تلزم الإشارة في الحاشية إلى ما أضافه أو غيّره، فربما خالفه قارئ متخصص في قراءته وضبطه.

١٧- الصفحة ٩٩، المقطوعة السادسة عشرة، البيت الثالث، قرأ المحقق الكريم عجز البيت هكذا:

.... وخَيْرٌ منه صَحْبَةٌ للكَلْبِ

قلتُ: وهي قراءة لا يستقيم بها وزنٌ ولا معنىً! والبيت -كما ذكر عند تقديمه للمقطوعة- من السريع، ولعل صحة الضبط و القراءة:

.... وخَيْرُ منه صُحْبَةُ الكَلْبِ

دون تنوين الراء في "وخيرٌ" والتاء في "صحبةٌ" ودون إضافة لام الجرّ في "للكلب".

ويكون وزن عجز البيت: مُتَفْعِلُنْ مُتَفعِلُنْ فَعْلُنْ.

١٨- الصفحة ٩٩، المقطوعة السادسة عشرة أيضًا، البيت الرابع، قرأ عجز البيت:

.... والبعدُ منهم راحةُ القَلْبِ

ولا لزوم لتنوين كلمة "راحةٌ" لأنها مضاف والمضاف لا ينوّن فضلاً عن عدم استقامة الوزن وصعوبة النطق بآخر البيت، وعدم موافقة القراءة لما في المخطوط.

١٩- الصفحة ١٠١، المقطوعة التاسعة عشرة، البيت الأول: قرأ صدر البيت:

وللأمور تسابيبٌ وإن كَثُرَتْ ....

قلتُ: لم يظهر في المخطوط من كلمة "تسابيبٌ" غير شبح الباء منونة، فالقراءة هي إذاً من اجتهاد المحقق، ولذا يلزم الإشارة إلى ذلك في الهامش. نعم سياق البيت قد يدل على صحة القراءة، ولكن هذا وحده لا يكفي. ثم هل يجمع سبب أو أسباب على تسابيب؟ ربما!

٢٠- الصفحة ١٠١، المقطوعة العشرون، البيت الرابع، ضبط المحقق الكريم آخر أول كلمة في عجز البيت بالفتح:

.... وأَعْطَفَ من بيضٍ ....

قلتُ: وهي في المخطوط مضبوطة بالضم "وأعطَفُ". ينبغي أن يعلّلَ التغيير ويبيِّنَ خطأ ضبط المخطوط إن كان كذلك.

٢١- الصفحة ١٠١، القصيدة الحادية والعشرون، يقارن الشاعر بين حاله وفقره وبين قرد مُرَفَّهٍ مُعَزَّزٍ رآه في قصر الخُلْد، وهو قصر بناه المنصور ببغداد، يسير في "موكب" عظيم:

وجدتُ حظّي ... .

أقلّ من حـــظّ قردٍ في وقاحته والقردُ ذو ذنبٍ والقردُ مقبوبُ

قلتُ: لعل صحة قراءة عجز البيت:

.... والقِرْدُ ذو ذَنَبٍ والفَرْدُ مَقْبوبُ

ويؤيد ذلك أن كلمة مقبوب هنا ليست كلمة مدح. وقد فسرها المحقق الكريم في الهامش الرابع بقوله: "ضامر" محيلاً على اللسان.

قلتُ: وتوجيه قراءة "الفرد" يرجحها أن الشاعر يقارن بين القرد والفرد؛ أي بين القرد ونفسه، وحظ القرد وحظه، فالقرد منعم وهو "ضامر البطن" من قلة ذات يده، ومن ثَمَّ قلَّة ما يأكل حتى لكأنه صائم. قال في اللسان: "وفي الحديث: خير الناس القُبِّيُّون، وسئل أحمد بن يحيى عن القُبِّيِّين فقال: إن صَحَّ [الحديث] فَهُم الذين يسردون الصوم حتى تَضْمُرَ بطونهم".

وقد تقرأ الكلمة "القِرْدُ" خاصة وأنها، فيما يبدو، قد كسرت فاؤها في المخطوط، وفي هذه الحال فلا يصح تفسير المحقق الكريم لكلمة "مقبوب" بمعنى "ضامر" بل تفسر بأن هذا القِردَ ذا الذنب مقدم عند القوم والشاعر لفقره وسوء حظه مؤخر عندهم.

قال في اللسان: "والقَبُّ: رئيس القوم وسيدهم، يقال عليكم بالقبِّ، أي بالرأس الأكبر".

وعلى هذا فالشاعر يرثي زمانه الذي يحتقر الشاعر ويحترم القرد! وقراءة القصيدة كاملة شاهد على ذلك.

٢٢- الصفحة ١٠٢، البيت الخامس، قرأ المحقق الكريم صدره:

قد عنَّها بلحام وهو راكبها ....

قلتُ: الذي ظهر في المخطوط:

قد بجام وهو راكبها ....

وقد قدّر المحقق المحذوف تقديرًا من عنده، وهذا يُلزِمه أن يوضح ذلك في الحاشية.

قلتُ: ولعل الصواب في التقدير:

قد [عَنَّهَا بلـــ]ـــجام وهو راكبها

بالجيم لا بالحاء.

٢٣- الصفحة ١٠٢، الهامشان ٥، ٦، شرح المحقق الكريم كلمتي: التشبيب، وملوي. ومن ذا الذي لا يفهم أن التشبيب هو "النسيب والتغزل بالنساء"، وأن: ملوي: أي "معوج"؟

أليس هذا من التزيد في الهوامش أو الحواشي؟

بلى.

(للبحث صلة)

رحلتي إلى مكة[1] (١٨٩٤م/١٣١٣هـ)

للفرنسي جيل - جرفيه كورتلمون

قرأها وترجم منها وعلّق عليها

د. محمد خير البقاعي

لم تحظ الرحلات المكتوبة بالفرنسية إلى الجزيرة العربية -سواء أقام بها فرنسيون بالانتماء أم بالولاء[٢]- بما حظيت به الرحلات المكتوبة بالإنجليزية من دراسات وتحليلات، ناهيك عن الترجمات التي قدمت لنا نصوص بوركهارت، وبرتون، وبلجريف، ولويس بلي، وغيرهم. ونجد مصداق ذلك إذا استعرضنا البحوث المقدمة إلى ندوة الرحلات إلى شبه الجزيرة العربية، والتي بلغت ستة وعشرين بحثًا[٣]؛ بحثان منها تناولا الجانب الفرنسي، أحدهما عن رحلة ليون روش إلى الحجـــاز ١٨٤١-١٨٤٢م، والآخر عن أهمية مدونات الفرنسي إبراهيم دبوي باعتبارها مصدرًا لتاريخ المملكة العربية السعودية خلال الفترة من ١٩١٩-١٩٢٩م. ونتج عن انصراف المترجمين عن الرحلات الفرنسية بقاؤها بعيدة عن أنظار الباحثين، وكنا قد أشرنا إلى ذلك، ودللنا عليه في غير موضع[٤].

ونحاول اليوم تسليط الضوء على إحدى الرحلات الفرنسية[٥] التي أثارت جدلاً واسعًا، كما يشير إلى ذلك ناصر الدين دينيه في حديثه عنها، وكما يبدو من السيرة التي كتبها أحد أحفاد صاحب الرحلة، وأُلحقت بالطبعة الأخيرة منها. ونقدم ترجمة لها بين يدي التعريف بهذه الرحلة؛

لتكون مدخلاً إلى حياة الرجل الذي نسيه التاريخ كما يقول بحق كاتب هذا الملحق.

أتى كورتلمون إلى الجزيرة العربية في نهاية القرن التاسع عشر، بعد شارل ديدييه، وليون روش؛ ويجد قارئ بحثنا هذا معلومات وافية عن ظروف الرحلة وملابساتها في المدخل المترجم[٦].

ملـــحـــق[٧]

نعلم أن عددًا قليلاً من الأوربيين، منذ عهد النبي محمد (ﷺ)، في القرن السابع الميلادي، وحتى نهاية القرن التاسع عشر، نشروا حكاية رحلاتهم إلى مكة المكرمة، وإقامتهم فيها. ومكة المكرمة مسقط رأس النبي (ﷺ)، ومهد الإسلام، والعاصمة الروحية للأمة الإسلامية.

إن جيل جرفيه كورتلمون، الذي كان أول فرنسي من أصول أوربية مسيحية، يحضر موسم الحج[٨]، هو أحد الذين نسيهم التاريخ. لقد قام عام ١٨٩٤م بمغامرة حقيقية، تذكرنا بـــ رينيه كاييه René Caillié، مكتشف تمبكتو[٩] Tombouctou في عام ١٨٢٨م. إن غير المسلم الذي يُقبض عليه في الأرض المقدسة، معرض لعقوبة الموت، إلا إذا توافر له الوقت ليثبت أنه اهتدى من قبلُ إلى الإسلام. و ما زالت الرقابة، حتى اليوم، صارمة على حدود الأراضي المقدسة؛ إذ نجد على أبواب مكة (المكرمة) والمدينة (المنورة) لائحة كتب عليها: للمسلمين فقط[١٠].

ولد جرفيه عام ١٨٣٦م في أفون Avon في مقاطـــعـــة (سن- إي- مارن Seine-et-Marne)، فقد أباه وله من العمر ثلاث سنوات، وسرعان

ما تزوجت أمّه ثانية من ضابط فرنسي اسمه: جيل- جورج كورتلمون، تولى رعاية جرفيه وأخيه، كما لو كانا ولديه، وذهب جرفيه للعيش مع أسرته الجديدة في الجزائر. ونقل جيل إلى الطفل حب البلد، وسكانه، والحضارة الإسلامية، ونمّى لديه ملكة حب الاستطلاع، وعقلاً بعيدًا عن الأحكام المسبقة، التي كانت شائعة في عصره.

نشأت بينهما علاقات متينة، يدل على ذلك أن "جرفيه" ظل طوال حياته محتفظًا بلقب أسْرة والده بالتبني، إلى جانب اسمه الأصلي: لذلك حمل على الدوام اسم، جيل-جرفيه كورتلمون. لقد تعلم من العيش على أرضٍ قاحلة القيمة الحقيقية للحياة: "ليس المتعة أن تحصد، ولكن أن تزرع. إن الزرع هو الأمل. والربيع هو الحيوية المتوهجة، والأمل بلا حدود، إنه فرح العمل، وفرح الحياة التي تولد[١١]." لقد ظهر لدى جيل-جرفيه كورتلمون منذ نعومة أظافره، ميل إلى فن التصوير الضوئي، الذي كان حينئذ جديدًا كل الجدة (وطور بعد ذلك آلة التصوير الملونة، التي اخترعها الأخوان) لوميير Les Frères Lumière ثم أسس دارًا للنشر، ونشر مجلة شهرية: الجزائر الفنية المصورة، بالتعاون مع جيل لوميتر Jules Lemaître، وموباسان Maupassant وفكتور مرغريت Victor Marguerite، وخصوصًا بيير لوتي Pierre Loti. وكانت تربطه بهذا الأخير صداقة قديمة، بعد أن قاما معًا فيما يبدو برحلة إلى تركيا بحثًا عن ضريح أزيادي Aziyadé، وهي شابة كان للوتي البحارة الروائي علاقة حب معها في عام ١٨٧٧م، تحدث عنها في رواية عجيبة، عنونها أزيادي (١٨٧٩م Aziyadé)[١٢] وظلت ذكراها متسلطة عليه خلال سنوات طويلة[١٣].

تعلقت نفس كورتلمون بالسفر إلى ديار الإسلام، وغيرها. ودفعه حب الأسفار إلى التفكير بدخول مكة المكرمة، المدينة المجهولة، التي لا يجوز لغير المسلمين دخولها.

لقد سبق له، وآلة التصوير في يده، أنْ جاب بلاد المسلمين الواقعة على حوض البحر الأبيض المتوسط، مستعرضًا، من طنجة إلى استانبول، المواقع الأثرية، والصروح، والشعوب، محاولاً أن يُظهر بأمانة، عظمة الماضي، وروعة الحاضر[14]". عرض جيل-جرفيه كورتلمون مشروعه الضخم على جيل كامبون Jules Cambon، الحاكم العام في الجزائر، ولم يكتفِ كامبون بالإعراب عن سروره به، بل أسند إليه مهمة سرية، تتمثل في الحصول من شريف مكة المكرمة على تأكيد صحة الفتوى التي حملها في السنة المنصرمة الحاج أكلي[15]. وتثبت هذه الوثيقة أن "علماء الإسلام يقرون السيطرة الفرنسية الكاملة على الجزائر وتونس، ويرون أنها تتوافق مع تعاليم القرآن الكريم[16]".

وكان جيل كامبون قد أرسل أكلي، الذي استفاض كورتلمون في الحديث عن ماضيه (ص ٦-١٠) ، في العام السابق ١٨٩٣م للحصول على تلك الفتوى. ويظهر من حاشية وجدت في أرشيفات ما وراء البحار (أكتوبر "تشرين الأول" ١٩٠٠م، رقم٢٤٩١) أن "جبلة Djabila حاج أكلي حصل لقاء ذلك على مبلغ من المال قدره خمسة آلاف فرنك تقريبًا"، مما يمكن أن يعلل عدم نجاح كورتلمون في الحصول له على أي امتياز، على الرغم من دعم جيل كامبون، وقد كان حينئذ بعيدًا عن الجزائر، ولا سلطة له على الضباط المسؤولين عن شؤون السكان الأصليين.

كان جيل كامبون حاكمًا عامًا للجزائر منذ عام ١٨٩١م، وكان ذلك أول منصب رسمي يتبوؤه خلال مسيرته الوظيفية الطويلة في السلك الدبلوماسي على أعلى المستويات. ثم غادر ذلك المنصب في عام ١٨٩٧م ليصبح سفيرًا في واشنطن، ثم في مدريد، وفي برلين (حتى عام ١٩١٤م) قبل أن يصبح مشرفًا على معاهدة فرساي (بصفته سكرتيرًا عامًا لوزارة الخارجية). وبدلاً من الاعتماد على الجيش في الحكم، أراد جيل كامبون أن يكسب تعاطف الجزائريين وتعاونهم. وكان يأمل في إشراك السكان الأصليين (كما كان يقال حينئذ) في أعمال التطوير التي كان يرى أنها مهمة فرنسا. ولكي يحقق ذلك، كان عليه أن يكون أكثر معرفة بالعالم الإسلامي. ناهيك عن أن الحكومة الجزائرية كانت معنية مباشرة بمراقبة موسم الحج، وتنظيمه، وحمايته. إذًا، كان ينبغي عليها أن تحصل على معلومات أولية عن هذه العاصمة الدينية، التي يتوجه إليها آلاف الجزائريين في كل عام. كانت تلك المعلومات ضرورية؛ ليس لأسباب دينية أو صحية فقط، ولكن لأسباب سياسية على وجه الخصوص: كان الذين يذهبون إلى الحج يعودون، وهم يحملون لقب حاج؛ مما يمنحهم مكانة روحية لدى أبناء جلدتهم، ويكتسبون في الوقت نفسه سموًا أخلاقيًا واجتماعيًا، كان يسهم بفاعلية في تنظيم المدينة، ويصبح لهم أيضًا مصداقية أكثر من تلك التي تمتلكها السلطات الفرنسية. إذا عرفنا ذلك فليس من الصعب فهم حرص تلك السلطات على معرفة الدور السياسي المحض للحج.

إن المعرفة العملية التي اكتسبها كورتلمون، وهو في الثلاثين من العمر، عن العالم الإسلامي في حوض البحر الأبيض المتوسط، واعتناقه الإسلام،

وروح المغامرة لديه، كل ذلك، جعل منه في عام ١٨٩٤م، أحد الكفاءات الفرنسية النادرة، التي تمتلك بعض الحظ للنجاح في الحصول على المعلومات المطلوبة، على الرغم من الأخطار المحدقة بذلك.

ظل كورتلمون شديد التكتم على الأسباب والظروف، التي دفعته إلى اعتناق الإسلام، وعلى المشكلات العقدية التي سببها له ذلك. و عارضه معارضة شديدة كل أولئك الذين كان يزعجهم عدم التزامه، طوال حياته بالأعراف المقررة. وكان عليه بعد ذلك، إبـــان رحلته الاستكشافية إلى الصين، أن يُظهر العلامة الجسدية التي تثبت انتماءه إلى الأمة -الختان-، ولكن الوقاحة لم تصل أبدًا بأولئك الذين طلبوا منه ذلك إلى حد التأكد منه ماديًا!

ومهما يكن من أمر فإن كورتلمون كان يكفيه، قبل مغادرة الجزائر، أن يكون عارفًا بكل "أسس المذهب المالكي الذي يتبعه الجزائريون، حتى يأمن التعصب الديني عند حصول أي مفاجأة"(١٧). ويمكن أن يبدو ذلك الخوف من التعصب الديني مسوغًا للعقل الأوروبي؛ إذا علمنا أنه كان هناك، لدى عامة الناس حينئذ، أكثر مما هو عليه اليوم، تطابق بين "مسلم" و "عربي". فكيف يمكن لأوربي أن يكون مسلمًا؟ إن اعتناق كورتلمون الإسلام كان يبدو حينئذ غريبًا.

وليس بالمستنكر أن نتساءل عن الدوافع التي دعت كورتلمون إلى اعتناق الإسلام: هل فعل ذلك عن قناعة دينية، أم أنه أصبح مسلمًا لأسباب سياسية، ولكي يستطيع القيام برحلته، وهو آمن؟ وما الأسباب التي كانت وراء اعتناقه الإسلام: حبه المغامرة، أم الظمأ للمطلق؟ لم نجد حتى اليوم

إجابة واضحة عن هذه التساؤلات، وإن ما نركن إليه في هذا السياق هو مجرد قناعة شخصية، ولكنها تجد أساسها في مجمل كتاباته، التي نلمح من خلالها ما يتمتع به من خلق يتصف على الدوام بالصراحة والطيبة. وكان مذهبه الفلسفي يتحلى دائمًا في إعطاء الإنسان، والقيم الإنسانية، المكان الأول في كل مسالكه. كان إبَّان حجه حديث عهد بالإسلام، وكان كلما تقدم به العمر، ازداد معرفة به، وأصبحت تأملاته أكثر عمقًا. لقد بدا لنا أن كورتلمون باعتناقه الإسلام مدَّ جسرًا بين دينين، يبدو التوفيق بينهما مستحيلاً؛ المسيحية والإسلام، فهو رجل الوحدة والكلمة السواء، وحواري من حواريي السلام. كانت أفكاره بخصوص معتقده الجديد عُرْضة لمعارضة راسعة: وهذا ما حدث! ولكن من ذا الذي يجرؤ على الجهر بالمخالفة، وإعلان وحدة المذهب في الإسلام؟

كان كورتلمون رجلاً عمليًا، لديه ميل شديد إلى معرفة العباد والبلاد، و لم يجد كثير فائدة في تفسيرات الفلاسفة المسلمين أو المسيحيين. ففضل تمتين عقيدته انطلاقًا من ملاحظاته على طريقة المسلمين في ممارسة عبادة الله، متعمقاً في سريرتهم.

حاول كورتلمون خلال شهور طويلة، الحصول على دعم؛ ترخيصًا كان ذلك أو إذن سفر من الحكومة الفرنسية، ولكن محاولاته ذهبت سدى: إذ كانت كل المهمات إلى البلاد الأجنبية (والجزيرة العربية منها) منوطة بوزارة الخارجية وموظفيها. وقد كان من المستحيل الوثوق بأحد المحيطين بالحاكم العام، الذي كان يتبع وزارة المستعمرات. فتولى جيل كامبون، تمويل هذه المهمة "السرية" إلى العاصمة الدينية للأمة الإسلامية. لم يَرُقْ

نجاح مهمة موفد جيل كامبون لقنصل فرنسا في جدة. فأرسل بعد وقت قصير من عودة كورتلمون، تقريرين طويلين إلى وزير الخارجية بهذا الخصوص. أورد في تقريره الأول، المؤرخ في ٨ يناير "كانـــون الثاني" ١٨٩٥م (بعض الأصداء)، التي لقيتها هذه الرحلة، وحاول أن يقلل من أهميتها، بل عدها غير ذات أهمية لمصالح فرنسا، وأثار الشكوك حول جدية صاحبها، يقول: "كان يرافقه دليل (...) يأتي كل عام إلى مكة المكرمة (...) لشراء السجاد، وأشياء أخرى غريبة، يبيعها في متجر يمتلكه في الجزائر العاصمة. إن السيد كورتلمون، الذي ادعى مؤخرًا أنه اعتنق الإسلام، وأبدى استعداده لإبراز الدليل المادي، إن اقتضى الأمر، كـــان يرتدي (...) ثيابًا بيضاء، أحسن هيئة، وأكثر راحة من ثياب الإحرام المعتادة.

(...)، ولم يأت إلى القنصلية التي كانت، بصفة شبه رسمية، تعلم بقدومه، ولكنه أقام مع دليله عند المترجم المعاون في القنصلية."

ويتابع القنصل مضمنًا تقريره خبرًا يدل على نية مبيتة، إذ يقول: "إن كورتلمون علم في جدة أن الشريف الأكبر يرفض أن يبحث معه أي موضوع، ولكنه، مع ذلك، يحتفظ بكل الهدايا التي أُرسلت إليه. "إن ما لم يصرح به ممثل فرنسا، هو أن القناصل لا يستطيعون إقامة أي علاقة مباشرة مع الشريف الأكبر: لأنهم معتمدون لدى الوالي، ممثل سلطان إستانبول، الذي يبسط حماية اسمية على الأماكن المقدسة. ويشير القنصل في تقريره أيضًا إلى أنه كان برفقة كورتلمون "جماعة من الذين يمقتون آلات التصوير". ولما كان رحّالتنا يعرف حق المعرفة ما يحيق به من أخطار، فإنه

اتخذ كل موجبات الحذر ليلتقط سرًّا صورًا للحجر الأسود، ولقصر الشريف، ولمنازل مكة المكرمة، ومنظرًا عامًا لها...أما بخصوص الحشود "المعادية"، فإن تقرير القنصل يعارض معارضة تامة ما جاء لدى كورتلمون الذي ينقل إلينا أنه "طاف الشوارع والأسواق آمنًا مطمئنًا". وأنه أقام عند مطوفه على بُعد خمسين مترًا من الحرم: وهذا أمر غريب من رجل كان عليه أن يبتعد عن عامة الناس العدائيين! ناهيك عن أنه ذكر بعض الأشياء التي قد تدهش الفرنسيين، فقال: "إن الأبواب في مكة المكرمة بلا أقفال، والبضائع مزجاة على مرأى من الجميع، ليل نهار؛ ليس هناك شرطة، والسرقة والجريمة أمران مجهولان." أما التقرير الثاني للقنصل نفسه، المؤرخ في ١٩ فبراير" شباط" ١٨٩٥م، فإنه يلقي مرة أخرى أيضًا بظلال من الشك على حقيقة اعتناق كورتلمون الإسلام...يقول: "لقد ادعى مؤخرًا أنه اعتنق الإسلام (...)، وليس ذلك إلا مناورة تسمح له بإشباع فضوله الدنيوي".

كان كورتلمون في مواجهة دائمة مع موظفي وزارة الخارجية. وكان يلجأ إلى وزارة المستعمرات لمساعدته ماديًا في إعداد رحلاته، سواء كان ذلك ماديًا أو للحصول على توصيات، ولكن موظفي وزارة الخارجية رفعوا إلى وزيرهم توصية، لقيت لديه قبولاً، بمعارضة مشاريع كورتلمون. وتشهد المراسلات بين الوزارتين (المحفوظة في أرشيفات ما وراء البحار) على ما كان من تنافس بين موظفي وزارة الخارجية وأقرانهم في وزارة المستعمرات، لأن كلاً منهم تتملكه الغيرة على "مناطق نفوذه".

ووجد كورتلمون نفسه، في وقت لاحق، في أتون تلك المواجهة، عندما أظهر خطأ ما كان ينشره قنصل فرنسا في يونان أ. فرانسوا A.François من أوهام، وسوء تقدير بخصوص الطبع العدواني لدى الصينيين[١٨]. مع ذلك، فإن كورتلمون، وبعد عودته من مكة المكرمة مباشرة، نال وسام جوقة الشرف برتبة فارس، بترشيح من جيل كامبون. وجاء في مسوغات ذلك أنه كُلِّف، على وجه الخصوص، "بمهمة رسمية في الجزيرة العربية، أنجزها بشجاعة، وحنكة، في ظروف صعبة، ومحفوفة بالمخاطر، وحمل معه عند عودته من رحلته وثائق ومعلومات لا تقدر بثمن."[١٩]

ما طبيعة تلك المعلومات التي لا تقدر بثمن؟

قدّم كورتلمون بعد عودته من الجزيرة العربية تقريرًا[٢٠] للحاكم العام للجزائر عن رحلته ومهمته؛ كان القسم الأكبر منه تلخيصًا لقصة حجه. وهو يقسم فيه إنه سمع من فم المفتي الكبير في المدينة المقدسة أن الفتوى التي حصل عليها الحاج أكلي في عام ١٨٩٣م، صحيحة. وسلّم الشريف الأكبر رسالة تفويض من حاكم الجزائر. ونجده في تقريره يحلل الأوضاع الصحية في وادي منى، (ومنى وادٍ يقع على بعد ستة كيلومترات ونصف غرب مكة المكرمة، وهي المكان الذي تنحر فيه عشرات الآلاف من الهدي إحياء لسنة إبراهيم عليه السلام)، و هو يستخدم في تحليله تفاصيل تقنية دقيقة، ليؤكد أنه لا وجود لبقايا العظام أو الأقذار فيها، وقال إن كل ذلك يزول بفعل ظاهرة النترجة[٢١] nitrification.

وقد كان لتلك المعلومات حينئذٍ أهميتها؛ لأن الدكتور صالح صبحي[٢٢]، أحد المسؤولين عن مكتب الخدمات الصحية المصري، كان قد

اقترح أن يتم إحراق الأضاحي في منى نزولاً عند رغبة الإنجليز، الذين كانوا يأملون أن يجدوا من خلال ذلك موطئ قدم لهم هناك.

ثم يعرض كورتلمون بعد ذلك إلى انتقاد قنصل فرنسا الذي لم يهتمَّ بالحجاج الجزائريين، وكان اهتمامه أقل بالحجاج التونسيين والمغاربة.

ويعرض كورتلمون أن يكون لفرنسا سياسة ثقافية في الحجاز؛ تتمثل في إرسال كتب فرنسية؛ لكي يكون هناك توازن مع النفوذ البريطاني المتنامي في الجزيرة العربية. وسياسة دينية تتمثل في بناء مسجد في باريس (وكان يقول: إن لندن هي العاصمة الأوروبية الوحيدة التي تمتلك مسجدًا). ويختتم التقرير بملاحظة سرية حول مردروس بيه Mardrus Bey، وكيل قنصلي سابق، يشك كورتلمون في أنه يفضل أن يُمنَح امتياز وادي منى للبريطانيين.

هنأت صحيفة **الراصد الجزائري** La Vigie algérienne التي تصدر في العاصمة الجزائرية، في عددها الصادر يوم ٥ يناير "كانـــون الثاني" ١٨٩٥م، الحاصل الجديد على وسام جوقة الشرف، وخصصت صحيفة **الأخبار** عمودين ينضحان بعبارات الإطراء للمحاضرة التي ألقاها في الجزائر العاصمة الرحالة والحاج كورتلمون.

وبعد عدة أيام ظهرت في صحيفة **الراصد الجزائري** ملامح المعركة التي لم تتأخر في الانفجار؛ إذ لم توجه سهام الانتقاد إلى كورتلمون (مع أنه اتهم "بالتظاهر بالإسلام"...)، ولكن الانتقادات كانت توجه مباشرة إلى الحاكم العام، الذي اتهم بأنه سهَّـــل لمواطنين فرنسيين "اعتناق الإسلام": "فالمارشال بوجو[٢٣] Bugeaud (...) أوفد إلى مكة المكرمة مترجمًا

عسكريًا هو السيد ليون روش[٢٤] Léon Roche، الذي لم ير ضرورة اعتناق الإسلام ليقوم بمهمته. وقد ذهب لمقابلة الشريف الأكبر بصفته فرنسيًا، وجنديًا، وممثلاً للحكومة الفرنسية. (...) إن السيد كامبون (...) لا يسلك سبيل الوضوح والصراحة فيما يقوم به من أعمال. إنه من أنصار الوسائل المشبوهة، والكذب الممقوت. ولكي يشبع ميوله البوليسية، ارتكب كل ضروب الحماقة، والنذالة". وتابعت الحملة صحيفة جزائرية أخرى هي **النجم الإفريقي** L'Étoile africaine، الصادرة يوم ٢٢ فبراير "شباط"، في مقالة طويلة عنوانها: "المهزلة تتقلد وسامًا"، فقالت: "كان منح الوسام لذلك "المسكين" كورتلمون، ذلك "الكاذب"، "مهزلة كبرى؛ إنه امتهان مأساوي لكرامة الجنود الذين بذلوا دماءهم في ساحات المعارك، أن يقوم أحد الحمقى، في هزلية ساخرة، بتعليق وسام جوقة الشرف على صدر هذا المكتشف، الذي يضحك منهم الآن في سره ملئ شدقيه!" (ليس الأحمق المعني هنا إلا كامبون نفسه!). في حين كانت صحيفة **المستعمر الجزائري الصغير** Le Petit Colon algérien ، (العدد الصادر في ٢٣ فبراير"شباط" ١٨٩٥م، على سبيل المثال)، تتابع الثناء على كورتلمون، وتقول: لقد نُعِت كورتلمون في صحف أخرى بأنه "إنسان بلا قيمة"، وبأنه "أحمق"، و"كاذب"، "تفوّه بالحماقات" (صحيفة **النجم الإفريقي** الصادرة في اليوم نفسه). وفي جو من "الاستعراض الاحتفالي"قالت (صحيفة **الراصد الجزائري**، عدد ١٠ مايو "أيار"): إن ذلك الحقد والضغينة، اللذين يستمران على هذه الحال منذ عدة أشهر، متولدان عن جو التوتر، الذي كان سائدًا في تلك السنوات، التي وصل فيها الجدل السياسي إلى أقصى

حدوده: كانت فرنسا في قلب الحدث الذي عرف بقضية دريفوس. وإنه لمن المصادفات التاريخية أنه قُبض على الكابتن دريفوس في يوم (١٥ اكتوبر "تشرين الأول" ١٨٩٤م)؛ أي في الفترة التي كان فيها كورتلمون يؤدي مناسك الحج (دخل مكة المكرمة في ٦ أكتوبر "تشرين الأول"). وقد هاجمته صحيفة **الراصد الجزائري**، الصادرة في ١٠ يونيو "حزيـــران" ١٨٩٥م، في مقالة تبرز لنا (دون وعي؟) الدوافع الحقيقية الكامنة وراء أهداف هذه المعركة الصحفية: كان الهدف الحقيقي من الهجوم على كورتلمون هو التوصل عبره إلى إسقاط الحاكم العام؛ إذ يُختتم المقال كما يلي: "إن السيد كامبون رجل يؤمن بالسلام، إيمانًا يجعل علاقته مع السلطة العسكرية في أقصى درجات السوء. كان على خلاف حاد مع الجنرال ميرسييه Mercier، و هاهو ذا يتفاهم بصعوبة مع خلفه. لقد أصبح لدينا فكرة واضحة عن وطنية السيد كامبون (... الذي) ليس وطنيًا، ولكنه دبلوماسي من المدرسة الجديدة."

وقد وجدنا مثل ذلك من قبلُ في صحيفة **المستعمر الجزائري الصغير**، الصادرة في ٢٧ مارس"آذار": "إننا، بصفتنا جزائريين، جدُّ فخورين بنجـــاح المشروع الطـــموح (للسيد كورتلمون)، ولكننا، بصفتنا وطنيين، محزونون كل الحزن من التشهير الخطير، وغير المقبول الذي يتعرض له بسبب حماقة بعضهم، وحقد الآخرين، وبسبب الحسد المتأجج لدى العاجزين."

إن كورتلمون لم يكن في كل الأحوال يعرف عجز الخاملين. لقد سافر كثيرًا بين عامي ١٨٩٥–١٩١٤م: إلى الهند، واليابان، وبرمانيا،

وكمبوديا، ومدغشقر، وأوروبا، والصين على وجه الخصوص (١٩٠٣-١٩٠٤م)، حيث اتبع مجرى نهر النهر الأزرق من يونان إلى شنغهاي، على الأقدام مرة، وعلى البغل تارة، وعلى متن المركب حينًا؛ وهو يرتدي الزي الصيني في أغلب الأوقات، ترافقه زوجته هيلين التي كانت بذلك تقوم بعمل باهر. لقد قدم نفسه هناك على أنه موظف كبير من الدرجة الثالثة، وزار عددًا من الجماعات الإسلامية، واكتشف إحدى قمم يونان، وأطلق عليها اسم (جبل بونفالو Le mont Bonvalot)؛ فأهّلَه ذلك للحصول على الميدالية الذهبية لجمعية المساحة (الطبوغرافيا).

كان كورتلمون، الذي بلغ الخمسين، واعتزل في كوتفرول Coutevroult (سن-إي- مارن Seine-et-Marne)، يعمل إبان الحرب، في كوتفرول،حارسًا مدنيًا في خدمة الأهالي، وعمل فيها خبازًا ليسد النقص الذي أصاب اليد العاملة، وتابع التقاط الصور الملونة للحرب، ونشرها.

وعندما عاد السلام، ألقى عددًا من المحاضرات في فرنسا والولايات المتحدة الأمريكية، وكتب عددًا من المقالات في صحف مثل: النصوص المزخرفة، العالم المعاصر، صحيفة الأسفار، إلخ. (L' Illustration, Le monde moderne, Le Journal des Voyages, etc.)، وقدّم (من١٩٢٤ إلى ١٩٣١م) أكثر من ٢٥٠٠ صورة ملونة للمجلة **الجغرافية الوطنية** National Geographic Magazine، التي نشرت منها أكثر من ٤٥٠، وقدم في ثلاثة مجلدات ضخمة مزينة بالرسوم، **التاريخ الاجتماعي للإنسانية**.

كان كورتلمون، عندما مرض عام ١٩٣٠م في كوتفرول، قد بدأ بترتيب ملاحظاته لينجز كتابًا عن الإسلام؛ وهو الكتاب الذي كان يحلم به طوال حياته. امتد به المرض خمسة عشر شهرًا بطولها، ولما استفاق في صباح يوم السبت ٣١ أكتوبر "تشرين الأول" ١٩٣١م، نظر، أول ما نظر إلى النافذة، فقد كان المطر في مساء اليوم السابق ينهمر بلا انقطاع.

"قال لزوجته حينئذ: آه! الشمس! الحمد لله! الشمس[٢٥]!"

تلا ذلك اختناق دام عدة دقائق، ثم تجمدت ابتسامته المرحة والمشرقة، وانطفأ نظره النضر والحيوي، وسقط رأسه على كتف رفيقته.

كفنوه في جنازته بثياب الإحرام التي يلبسها الحاج؛ وكان يحمل في يده، التي يزينها خاتم فضي، رسالة مفتي المالكية، التي تثبت أن "عبد الله بن البشير كان مؤمنًا حق الإيمان، ولا يرجو شيئًا إلا رحمة ربه".

تلك كانت الكلمة الضافية التي وضعها غي كورتلمون للتعريف بصاحب الرحلة، التي تحدّث عنها أيضًا ناصر الدين دينيه، وروبن بدول، فماذا قالا؟

(للبحث صلة)

الهوامش:

(١) Courtellemont, Gervais, Mon Voyage à La Mecque, Paris, Librairie Hachette et C[ie]١٨٩٦.

ونشرت الرحلة ثانية في عام ١٩٩٠ م دار نشر Desclée de Brouwer ، ضمن سلسلة ديوان، التي يشرف عليها سليمان زيغيدور؛ وقد ذيلت هذه الطبعة بالكلمة الضافية التي كتبها غي كورتلمون عن الرحالة. وينشر ترجمة الرحلة منجمة في صحيفة "الرياض" الصديق الدكتور معجب الزهراني. وقد ترجمنا الملحق الذي اعتمد كورتلمون فيه على كتاب الطبيب أدريان بروست الاتجاه الجديد للسياسة الصحية، ضمن بحث مقبول للنشر في مجلة "الدارة" بعنوان: أدريان بروست ليس له رحلة إلى الحجاز.

(٢) نقصد بالانتماء الإشارة إلى الفرنسيين الذين قاموا برحلات إلى الجزيرة العربية مثل: شارل ديديه، وليون روش، وكورتلمون، ودينيه، وغيرهم. ونقصد بالولاء الإشارة إلى أولئك الذين قاموا بالرحلات لحساب الفرنسيين دون أن يكونوا فرنسيين مثل: دمنغوا باديا، المسمى علي بيك الكبير، وغيره.

(٣) حسب ما جاء في مستخلصات البحوث الصادرة عن دارة الملك عبد العزيز التي كان لها فضل تنظيم هذه الندوة العلمية في مدينة الرياض في الفترة من ٢٤ إلى ٢٧ رجب ١٤٢١هـ/ الموافق ٢١ إلى ٢٤ أكتوبر ٢٠٠٠م.

(٤) انظر بحثنا "موسوعة الملك عبد العزيز آل سعود، سيرته وفترة حكمه في الوثائق الأجنبية"، مجلة "عالم الكتب" السعودية، مج٢٠، ع٥-٦، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م، ص ٥٥٦-٥٧٢؛ وانظر أيضاً بحثنا "موسوعة الملك عبد العزيز آل سعود، سيرته وفترة حكمه في الوثائق الأجنبية مصدر من مصادر التأريخ لحج شمال إفريقيا، مجلة "التوبـــاد"، ع٢٠، ذو الحجة ١٤٢٠م، وانظر بحثنا "قراءة في رحلة إلى الحجاز في النصف الثاني من القرن التاسع عشر عنوانها: إقامة في رحاب الشريف الأكبر-شريف مكة المكرمة" تأليف شارل ديديه، مجلة الدرعية، السنة الثانية، ع٨، ١٤٠٠هـ/٢٠٠٠ م. وتقديمنا للرحلة المذكورة بترجمتنا، ط. دار الفيصل الثقافية، الرياض، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م (نشرت بعنوان: رحلة إلى الحجاز في النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي ١٨٥٤م).

(٥) أشكر لسعادة الأستاذ الدكتور يحيى محمود بن جنيد أنه قدم لي صورة عن هذه الرحلة، وليس ذلك بغريب عليه فهو صاحب فضل سابق.

(٦) ص ٢١٧ إلى٢٣٣ من الطبعة المشار إليها في بداية هذا البحث. أما سيرة كورتلمون التي كتبها غي كورتلمون فهي منشورة ملحقاً لطبعة ١٩٩٠م، ومؤرخة في يونيو"حزيران"١٩٩٠م.

(٧) جاء على الغلاف الخلفي لطبعة ١٩٩٠م نبذة مختصرة عن الرحالة نورد هنا ترجمة لها: "ولد رحالة، نشر المجلة الذائعة الصيت: **الجزائر الفنية والمصورة**؛ وهي مجلة شهرية مصورة، تأسست في الجزائر عام ١٨٨٩م، وهو مصور ذو شهرة عالمية، نُشر له بين عامي ١٩٢٤م و ١٩٣٢م ٤٦٦ صورة ملونة في المجلة الجغرافية الوطنية، في واشنطن العاصمة، وله غير ذلك كثير من الأعمال التصويرية، عاش بين عامي (١٨٦٣–١٩٣٠م)، وحسَّن آلة التصوير الملونة التي اخترعها الأخوان لوميير، وقام، على وجه الخصوص، بالتقاط صور تأسر الألباب لمكة المكرمة وضواحيها؛ وتعد هذه الصور في عداد أول الصور التي التقطت عياناً للمدينة المقدسة. وأهم مؤلفاته: من الجزائر إلى القسطنطينية (٥ مجلدات)، الجزائر، جرفيه كورتلمون، ١٨٨٨م(؟) النص من تأليف شارل لالمان، الصور لجرفيه كورتلمون؛ الإمبراطورية الاستعمارية الفرنسية، باريس، نوفلار، ١٩٠٠م؛ رحلة إلى يونان، باريس، بلون-نوري، ١٩٠٤م؛ ساحة معركة المارن (٢٤٠ صورة بالألوان)، باريس، طبع الفرنسية المزينة، ١٩١٥م؛ معركة الأورك، باريس، ديلغراف، ١٩١٦م؛ معركة فيردان، باريس، طبع الفرنسية المزينة، ١٩١٧م؛ الحضارة(تاريخ اجتماعي للإنسانية) (٣ مجلدات)، باريس، مطبوعات لوفاسور، ١٩٢٣م.

(٨) لم يحضر كورتلمون موسم الحج الرسمي، كما يصرح بذلك هو نفسه في الصفحة ٩٩ من النص الفرنسي، يقول: "لم تصادف إقامتي في مكة المكرمة موسم الحج الرسمي السنوي..."[المترجم].

(٩) مدينة في مالي [المترجم]. ورينيه كاييه مستكشف فرنسي(١٧٩٩-١٨٣٨م)، أول فرنسي وصل إلى تمبكتو في ٥ شوال ١٢٤٣هـ/ ٢٠ أبريل ١٨٢٨م، ومكث فيها

أسبوعين، وسافرمنها إلى المغرب، ثم إلى فرنسا، حيث قدم تقريراً عن رحلته إلى الجمعية الجغرافية في باريس، ونُشرت رحلته بعنوان: يوميات رحلة إلى تمبكتو.

(١٠) زيغيدور سليمان، الحياة اليومية في مكة المكرمة من عهد النبي ﷺ حتى يوم الناس هذا، هاشيت، باريس، ١٩٨٩م.

(١١) رحلة إلى يونان، بلون، باريس، ١٩٠٤م، ص ١٦٦.

(١٢) أول أعمال الأديب الفرنسي بيير لوتي(١٨٥٠-١٩٢٣م)[المترجم].

(١٣) قال غي كورتلمون في كتابه، جيرفيه كورتلمون رائد تصوير الضريح النبوي، ص ١٢٨، الحاشية: إن بيير لوتي حول غرفة في منزله إلى مسجد احتفاء بذكرى أزيادي "خطيئته" التركية.

(١٤) رحلتي إلى مكة المكرمة، ص٥.

(١٥) أكـــلي اسم يشيع لدى برابرة الجزائر، وقد كان بائع اللحوم يُسمى أكلي ثم تحولت الكـــلمة إلى اسم علم. ويبدو أن أكلي هو اسم العائلة لأنه يسمى في مكان آخر من الرحلة: جبلة **Djabila** حاج أكلي.

(١٦) "تقرير جيل-جرفيه كورتلمون المقدم إلى السيد جيل كامبون، الحاكم العام للجزائر" (أرشيفات ما وراء البحار، إكس-أن-بروفانس).

(١٧) رحلتي إلى مكة المكرّمة، ص ٨.

(١٨) مصدر سابق، ص ١٩ —٢٣.

(١٩) إضبارة "جرفيه، المدعو كورتلمون"، في المتحف الوطني لوسام جوقة الشرف، باريس.

(٢٠) مذكور سابقاً في الحاشية رقم ٤.

(٢١) وهو تفاعل جرثومي كيماوي يحوّل الأمونياك وأملاحه إلى نيترات.[المترجم، عن المنهل].

(٢٢) انظر صالح صبحي: الحج إلى مكة المكرّمة والمدينة المنورة، نشرة الجمعية الخديوية الجغرافية، القاهرة، ١٨٩٤م.

(٢٣) Thomas-Robert Bugeaud De La Piconnerie = توماس روبير بوجو دو لا بيكونري، عسكري فرنسي ولد في ليموج عام ١٧٤٨م، ومات في باريس عام ١٨٤٩م. وطد دعائم الاستعمار الفرنسي في الجزائر عندما أرسل إليها عام ١٨٣٦م، وعين حاكماً عاماً للجزائر في عام ١٨٤٠م[المترجم].

(٢٤) ليون روش، ولد في غرونوبل(فرنسا) في ٢٧ سبتمبر"أيلول" ١٨٠٩م، ورحل إلى الحجاز بين عامي ١٨٤١-١٨٤٢م، لم تترجم رحلته إلى العربية بعد، وعنوانها: اثنان وثلاثون عاماً في بلاد الإسلام Trente Deux ans à travers L'Islam، وهي مذكراته، وتقع في جزأين، يقع كل منهما في ٥٠٠ صفحة؛ تحدث في الجزء الأول عن أوضاع الجزائر وحياة الأمير عبد القادر، وفي الجزء الثاني عن مهمته في الحجاز، وحياة الماريشال بوجو، وتبدأ الرحلة منذ خروجه من الجزائر إلى تونس، ثم مصر، والحديث عن الحجاز يقع في الصفحات ٦١-١٤٩، وفيها صور تمثل الكعبة والحرم المكي والحرم المدني، والوقوف بعرفات، وطهارة الحجاج، وقد طبع= =الكتاب في باريس، مكتبة فيرمن-ديدو، مطبعة المعهد، ١٨٨٥م. عن بحث للدكتور بلقاسم سعد الله بعنوان: "رحلة ليون روش إلى الحجاز ١٨٤١-١٨٤٢م" قُدِّم لندوة الرحلات إلى شبه الجزيرة العربية، التي نظمتها دارة الملك عبد العزيز، من ٢٤-٢٧ رجب= =١٤٢١م/٢١-٢٤ أكتوبر"تشرين الأول" ٢٠٠٠م. وذكر دينيه في كتابه الحج إلى بيت الله الحرام أن ليون روش استقى كل ما في كتابه من كتاب بوركهارت، انظر بحثنا" ناصر الدين دينيه وكتابه الحج إلى بيت الله الحرام، دراسة ووثائق وترجمة مختارة، مجلة مكتبة الملك فهد الوطنية، المجلد السابع، العدد الأول، المحرم-جمادى الآخرة ١٤٢٢هـ/أبريل-سبتمبر ٢٠٠١م، وانظر الرحالة الغربيون في الجزيرة العربية، روبن بِدْول، ص ١١٠-١١٢. ويبدو أن وفاة روش كانت في بداية القرن العشرين لأنه ذهب إلى الحجاز في عام ١٨٤١م حسب ما يذكر الدكتور بلقاسم سعد الله في بحثه أعلاه، وفي عام ١٨٣٧م كما يذكر كورتلمون، وحضر روش محاضرة عن رحلة كورتلمون في بوردو، ألقاها كورتلمون نفسه، ويصرح أن روش قال له: إنه خلال المحاضرة رحل بمخيلته من جديد إلى مكة المكرمة بعد سبعة وخمسين عاماً من ذهابه إليها. وهذا يعني أنه كان حياً في عام ١٨٩٤م حسب رواية

كورتلمون، وفي عام ١٨٩٩م حسب ما جاء في بحث الدكتور بلقاسم سعد الله، المذكور أعلاه. وهذا يعني أنه بلغ التسعين، وربما تجاوزها حسب الوصف الذي يورده كورتلمون عن وضعه الصحي.

(٢٥) أوردتْ هذا القـــول مريم هاريّ Myriam Harry، في صحيفـــة Le Temps ٨ نوفمبر" تشرين الثاني" ١٩٣١م. [ومريم هاري صديقة كورتلمون، كتبت عن حياته مقالة نشرتها في المجلة المذكورة أعلاه، انظر كتاب غي كورتلمون، م. س.، ص ٢٠، ٢٢٢].

نقد كتاب "حكام مكة" لمؤلفه جيرالد دي غوري

استدراكات على فترتي السيرة النبوية والخلفاء الراشدين

بقلم: د. خالد بن عبدالكريم البكر

اعتنى قدامى المؤرخين المسلمين بالحديث عن مكة واستقصاء أخبارها، نظرًا لمكانتها الدينية. فخصصوا لهذا الغرض مساحات غير قليلة من مدوناتهم، ومضى قسم منهم إلى ما هو أبعد من ذلك، فأفرد مكة بمصنفات كاملة، تناولت طبيعة المكان، ودرست أحوال السكان.

ثم خلف من بعدهم خلفٌ اتبعوا المنهج ذاته، وسلكوا السبيل نفسها، حتى صارت الكتابة عن مكة تقليدًا علميًا متوارثًا، ومحورًا مهمًّا من محاور التاريخ الإسلامي.

ولئن كانت الاعتبارات الدينية هي التي أملت على مؤرخي الإسلام أن يكتبوا ما كتبوه عن مكة، فإن العامل ذاته ألهب نفوس عدد من الباحثين الغربيين، وشحذ هممهم نحو استكناه أسرار ذلك المكان الغامض في أذهانهم. فالتعليمات الدينية حظرت على غير المسلمين دخول مكة، استجابة لقول الله تعالى: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلاَ يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا" – التوبة: ٢٨. ولقد أثار هذا الحظر رغبة عارمة لدى المتشوفين إلى مكة من غير المسلمين، وبالذات

الأوربيين، فاجترأ قسمٌ منهم على دخول مكة متنكرًا بزي الإسلام، واكتفى آخرون منهم بوصف جغرافية مكة وتبيين معالمها الدينية، واستعراض حوادثها في التاريخ الإسلامي، معتمدين في ذلك على المصادر العربية المبكرة، وعلى ما تناقله زملاؤهم الأوربيون من معلومات شخصية، أوردها بعضهم ممن أسعفهم الحظ بدخول مكة.

وإذا كان من الجليّ البيّن أن الأوساط العلمية الإسلامية كانت -ومازالت- تضج بالشكوى من أسلوب قراءة التاريخ الإسلامي لدى بعض الباحثين الغربيين، وطريقتهم في تفسير حوادثه، ورؤيتهم في الحكم على شخصياته المحورية، نتيجة لسوء الفهم أو لسوء النية أحيانًا، فإن القسم المتعلق بالتاريخ الإسلامي من كتاب **حكام مكة** لمؤلفه (جيرالد دي غوري) يُعدّ نموذجًا مناسبًا لهذا الصنف من الدراسات الغربية، التي خاضت بجهالة في لجة التاريخ الإسلامي، وسبحت في أعماقه فلم تُحسن العوم فضلاً عن الغوص. فهذا القسم من الكتاب مملوء بالأغلاط التاريخية التي أضعفت كثيرًا من قيمته العلمية. ولسوف نتتبع فيما يلي أهم الأخطاء الواردة في الفصلين الأول والثاني من الكتاب، وقد تناول فيهما المؤلف -باقتضاب- أحداث مكة حتى نهاية عصر الراشدين.

وقبل أن نأخذ في التفاصيل، نشير إلى أن الكتاب يقع في ستة عشر فصلاً، استعرض فيها المؤلف نشأة مكة، فتاريخها منذ ظهور الإسلام، فالعصور الإسلامية المتعاقبة، إلى أن دخل الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود -رحمه الله- مكة سنة ١٩٢٥م.

لقد نزع المؤلف في عرض مادته العلمية نحو الإيجاز الشديد، واستشهد بمجموعة لا بأس بها من الوثائق. كما أبدى المؤلف اهتمامًا ملحوظًا بالأشكال والرسوم التوضيحية، حتى أنه خصص في نهاية كتابه ملحقًا تفسيريًا لبعض المصطلحات الدينية والإدارية والعسكرية، الواردة في ثنايا الكتاب. لكنه لم يُبد عناية تُذكر بالتوثيق المنهجي والحواشي أدنى الصفحات.

لقد ظهـــرت الترجمة العربية للكتاب في طبعتها الأولى سنـــة (١٤٢٠هـــ/٢٠٠٠م) بعناية الأستاذ محمد شهاب، وضمن منشورات مكتبة مدبولي بالقاهرة.

وكان خليقٌ بالمترجم أن يقف وقفات ولو قصيرة حول بعض المسائل التي أثارها المؤلف، لا سيما ما يتعلق منها بالجانب العقائدي، فيستدرك على المؤلف ويكشف أغلاطه، أو يشرح وجهة النظر الإسلامية على الأقل، لكنه لم يفعل!.

وعليه، فقد استخلصنا أهم الملحوظات والاستدراكات التي لاحت لنا إثر قراءة الفصلين، الأول والثاني من الكتاب، فجاءت على النحو الآتي:

١- ماذا علينا لو ابتدأنا بإيراد هذه النادرة الغريبة، التي طالعنا فيها المؤلف في (ص١٢)، إذ قال ما نصه: "ولا يزال هنالك جبال تسمى قاف في وسط الجزيرة العربية".

والطابع الأسطوري لهذه المعلومة غير خاف، وبالتالي فلا حاجة بنا إلى التعليق.

٢- ذكر المؤلف في (ص١٦) أن قريشًا هم أحفاد بني جرهم! وألح في تكرار هذه المعلومة ثانية في (ص٢٢) وثالثة في (ص٣٣). وكما هو معلوم، فإن جرهمًا تنحدر من جذم العرب العاربة -وفقًا لتصنيف علماء النسب- وأما قريش فهم من صريح ولد إسماعيل، عليه السلام. انظر : ابن حزم، **جمهرة أنساب العرب**، ص ٨، ٩.

٣- استدل المؤلف في (ص٢٠) بآية قرآنية، فأوردها بشكل خاطئ على النحو الآتي: "إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ. فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَاللهُ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ".

والصواب في الآية هو قوله تعالى: "إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ. فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ"- آل عمران: ٩٦، ٩٧.

٤- كما استدل المؤلف أيضًا في (ص٢٠) بالآية الكريمة: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلاَ يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا" -التوبة: ٢٨. وزعم أن السنة المذكورة هي السنة الثامنة للهجرة. وهذا غير صحيح؛ فالآية نزلت في السنة التاسعة للهجرة، ولهذا بعث الرسول صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب صحبة أبي بكر رضي الله عنهما في موسم الحج لذلك العام، وأمره أن ينادي بألاّ يحج بعد هذا العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان. انظر: ابن كثير: **تفسير القرآن**، ٣٤٦/٢.

٥- ونبقى في (ص٢٠) حيث أشار المؤلف إلى أنه لم يكن مسموحًا للنساء بزيارة الكعبة أيام الجاهلية. ويكفي للتدليل على بطلان هذا الزعم ما تناقلته الروايات التاريخية حول قصة مولد الصحابي حكيم بن حزام، رضي الله عنه؛ فقد دخلت أمّه الكعبة في نسوة من قريش وهي حامل، فجاءها المخاض، فأحضروا لها نطعًا، فولدت حكيم بن حزام في جوف الكعبة. انظر: ابن عبدالبر، **الاستيعاب** (موجود بهامش **الإصابة** لابن حجر)، ٣١٩/١.

٦- تحدث المؤلف في (ص٣٣) عن تقسيم العرب إلى ثلاثة أقسام: عرب عاربة، وعرب متعرِّبة، وعرب مستعربة. والحق أنني لا أعلم مصدرًا من مصادر التاريخ الإسلامي جاء بمثل هذا التقسيم الثلاثي للجنس العربي. فالمستفاد من روايات الإخباريين أن هناك مصطلحين لا ثالث لهما في تصنيف العرب؛ فمنهم عرب عاربة، وأخرى متعربة، ويؤيد ذلك تلك المحاورة التي جرت بين خالد بن الوليد، رضي الله عنه، وبين عدي بن عدي العبادي، أثناء حصار الحيرة سنة ١٢هـ؛ إذ قال خالد: "ويحكم ما أنتم! أعرب؟ فما تنقمون من العرب؟ أو عجم! فما تنقمون من الإنصاف والعدل؟ فقال له عدي: بل عرب عاربة، وأخرى متعربة...". انظر: الطبري، **تاريخ**، ٣٦١/٣.

٧- قال المؤلف في (ص٣٥) ما نصه: "...*الموضع الأساسي للكعبة ربما يكون نفس موقع الحصن أوالقلعة فوق جبل هندي*..."، ثم أردف قائلاً بعد ذلك بسطر أو سطرين: "*وفي مقابل موقع الحصن يوجد جبل قبيس -كذا- حيث تأسست أو نقلت الكعبة*"!.

ويفهم من كلام المؤلف هنا أن موضع الكعبة لم يكن ثابتًا محددًا، وإنما جرى تغيير الموضع بين أخشبي مكة، من قعيقعان في الجهة الغربية إلى أبي قبيس في الجهة الشرقية، فتأمل!.

٨- أشار في (ص٣٩) إلى انهيار سد مأرب، واصفًا الحدث بأنه حكاية أفرزها الخيال الفكري العربي.

وأحسب أن المؤرخ المسلم لا يسعه إلا التسليم بحقيقة انهيار سد مأرب كما جاء في القرآن الكريم: "فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ" -سبأ: ١٦.

٩- قال المؤلف في (ص٤٠) ما يلي: "*...وكان عبد مناف أكثرهم رجولة، وبمساعدة بعض النافذين من قريش، انتقلت مفاتيح الكعبة إلى آل شيبة، والذين ذكروا في القرآن على أنهم سدنة الكعبة...*". ووقع هنا في خطأين، أحدهما فادح. أما الخطأ الأول فقوله إن مفاتيح الكعبة انتقلت إلى بني عبدالدار أو "آل شيبة"، والصحيح أنها كانت بأيديهم منذ وفاة قصي ابن كلاب، الذي خص بها ابنه الأكبر عبدالدار، ثم توارثها بنوه من بعده.

والخطأ الآخر هو اجتراؤه على القول بأن القرآن الكريم ذكر بني شيبة على أنهم سدنة الكعبة! فتلك حفرة عظيمة وقع فيها المؤلف والمترجم معًا.

١٠- ورد في (ص٤١) أن المطلب بن عبد مناف مات باليمن دون أن يترك أطفالاً، سوى ابن أخيه عبدالمطلب بن هاشم. وهذا غير صحيح؛ فللمطلب أولاد كثيرون، منهم: مخرمة، وأبو رُهم الأكبر، وأبو رُهم الأصغر، وهاشم، والحارث، وعمرو، وعباد، ومحصن، وعلقمة. انظـــر:

ابن حزم، **جمهرة**، ص٧٢، ٧٣. وبنو المطلب من البيوتات الشهيرة بمكة، وقد وقفوا إلى جانب بني عمومتهم من بني هاشم أثناء حصار الشِّعب.

١١- تطرق المؤلف في (ص٤٢) إلى قصة أصحاب الفيل، وأشار إلى أن وباء الجدري كان من العوامل التي أسهمت في هزيمة جيش أبرهة.

والمؤلف معذور في ذلك، فهو لا يؤمن بالقرآن الكريم وما جاء فيه عن خبر الحادثة -سورة الفيل- لكنه على الأرجح يحبذ تناول الحادثة منظور عقلاني، وحينئذ يحق لنا أن نسأل: لماذا سكت كفار قريش عن النبي صلى الله عليه وسلم حينما جاءهم بخبر الحادثة، فلم يتهموه بالكذب -كعادتهم-؟ أفلا يدل ذلك على أن قصة أصحاب الفيل، وكيفية مهلكهم، كانت لاتزال عالقة في أذهان العرب، وأهل مكة على وجه الخصوص؟

١٢- ذكر في (ص٤٣) أن عدد المسلمين في نهاية عام ٦١٣هـ، أي في السنة الرابعة من البعثة، يناهز الستمائة. وواضح أن هذا الرقم فيه مبالغة شديدة. ففي قصة إسلام عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، في السنة السادسة من البعثة، أن عدد المسلمين وقتذاك يصل إلى نحو الأربعين. انظر: ابن هشام، **السيرة النبوية**، ٣٦٨/١ ؛ بل إن أعداد المسلمين لم تصل إلى هذا الرقم حتى بعد الهجرة إلى المدينة. ففي غزوة بدر الكبرى (٢هـ) لم يتجاوز عدد المسلمين على أكثر تقدير (٣١٧) رجلاً، وثلثيهم من الأنصار، أهل المدينة!.

١٣- زعم المؤلف في (ص٤٤) أن اليهود دعموا الجيش الإسلامي في البداية. ولا أدري من أين جاء بهذا الاستنتاج، فإن كان الذي يعنيه المؤلف هو الدعم المادي؛ فإن المصادر المبكرة ذات العلاقة لم تذكر أدنى إشارة لمثل

هذا الدعم المزعوم، وإن كان المقصود هو الدعم العسكري، فنحن نعلم أن رجالاً من الأنصار اقترحوا على النبي صلى الله عليه وسلم -يوم أحد- فكرة الاستعانة باليهود، فأجابهم عليه السلام بحزم ووضوح: "لا حاجة لنا فيهم". انظر: ابن هشام: **السيرة النبوية**، ٢/٦٨.

ثم إن اليهود وقفوا موقفًا عدائيًا من الدعوة الإسلامية، منذ مجيء النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة، فحرّضوا قريشًا على مهاجمة المدينة غير مرة، وأنشد شاعرهم كعب بن الأشرف المراثي الشعرية في بكاء قتلى بدر، فمن ذلك قوله:

طحنت رحى بـــدر لمهلـــك أهله ... ولمثـــل بـــدر تستهـــل وتدمـــع
كم قد أصيب به من أبيض ماجد ... ذي بهجـــة يـــأوي إليه الضيّـــع
نُبئت أن الـــحارث بن هشامهم ... في الناس يبني الصالحات ويجمـــع
ليـــزور يثـــرب بالجمـــوع وإنما ... يحمي على الحسب الكريم الأروع

١٤- وصف المؤلف في (ص٤٦) قرار الخليفة أبي بكر بتجريد الحمـــلات العسكرية في اتجاه الشمال والشمال الشرقي، سنـــة ٦٣٣م (١٢هـــ)، أو ما يُعرف تاريخيًا بالفتوح الإسلامية، بأنه قرار متسرع، وأكد أن أبابكر لم تكن لديه فكرة أبعد من الإغارة والعودة. وهذا تشويه وتضليل، فالباعث الأساسي على تجريد تلك الحملات العسكرية هو نشر الإسلام في المقام الأول، ولا أدل على ذلك من موقف خالد بن الوليد مع نصارى العرب في الحيرة، حينما اختاروا الجزية، فحينئذ لامهم خالد، إذ عدلوا عن الإسلام، فقال لهم موبّخًا: "تبًا لكم، ويْحكم! إن الكفر فلاة

مضلّة، فأحمق العرب من سلكها فلقيه دليلان، أحدهما عربي فتركه، واستدل الأعجمي". انظر: الطبري، **تاريخ**، ٣/٣٦٢.

أرأيت لو كان الأمر مجرد غارة تأتي بما خف حمله وغلا ثمنه، أفيقول خالد مثل هذا الكلام؟.

كلا، لم تكن الفتوح الإسلامية وليدة فكرة متسرعة، وإنما هي ثمرة الامتثال والطاعة لقول الله تعالى: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِّنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ"-التوبة: ١٢٣. فالفكرة موجودة -إذن- في أذهان المسلمين منذ عهد النبي صلى الله عليه وسلم.

١٥- ذكر في (ص٤٧) أن الرسول صلى الله عليه وسلم عيّن عتبة بن أبي العاص واليًا على مكة. والصواب هو عتاب بن أسيد.

بقي أن أقول شيئًا، وهو أن عرض الكتب يكون -فيما أحسب- لأحد أمرين، أولهما: جودة الكتاب، مما يدعو إلى الترغيب في قراءته، وتبيين مواضع الجِدّة والابتكار بين دفّتيه. والثاني هو رداءة الكتاب، مما يوجب كشف عواره، وتقويم اعوجاجه.

وانطلاقًا من الأمر الثاني، جاءت هذه القراءة للفصلين الأول والثاني من كتاب "**حكام مكة**" لمؤلفه جيرالد دي غوري.

شِعر عمرو بن مخلاة الكلبي

دراسة وتحقيق

بقلم: قيس كاظم الجنابي

القسم الأوّل: الدراسة

هو أبو عمرو بن مخلاة الكلبي، وقيل ابن محلاة أو المحلاة، أو ابن مِخلي، وابن مخلاة الحمار، أو ابن ذي المخلاة [1]؛ والأوّل أثبت. والمِخلي: ما خلاه وجَزّه به. والمخلاة: ما وضعه فيه. وخلى في المخلاة: جمع؛ الخلى هو الحشيش الذي يحتش من بقول الربيع، وبه سمّيت المخلاة، والواحـــدة، خلاة [2]. وهو من بني جناب بن هبل من كلب [3]، شاعر إسلامي جـــزري [4]. خاطب مروان بن الحكم وابنه عبدالملك، مذكرًا إياهما بمعركة مرج راهط [5] التي انتصر بها بنو كلب على القبائل القيسية، ووطدت حكم الأمويين ضد الزبيريين في الشام [6]. فكان زفر بن الحارث الكلابي يبكي على قتلى قبيلته في هذه المعركة التي فرّ فيها فيقول [7]:

لعمري لقد أبقـــت وقيعة راهطٍ   بمروان صَدْعًـــا بيننـــا متنائيـــا
أتذهبُ كلبٌ لم تنـــلها رمـــاحُنا   وتُترَكُ قتلَى راهـــطٍ هيَ ماهيا
فقد ينبتُ المرعى على دِمَنِ الثرى   وتبقى حزازاتُ النفوسِ كما هيا

فيجيبُهُ عمرو بن مخلاة الكلبي [8]:

لعمري لقد أبقت وقيعة راهـــطٍ   على زُفـــرٍ داءً من الدّاءِ باقيـــا

تُبكّي على قتلى سُليمٍ وعامـــرٍ وذبيانَ مغرورًا وتُبكي البواكيـــا

أفرز هذا الصراع القبلي شِعرًا حماسيًّا منطلقًا من المرحلة التاريخية التي عاشت صراعًا داميًا، حتى استطاع عبدالملك بن مروان توطيد أركان السلطة الأموية، والتي ظلت ترى في قوة قبيلة كلب قوة لها؛ لهذا نشط شعر هذه القبيلة في هذه الصراعات، وبرزت قوتها وأثبتت ولاءها للدولة الأموية. ففي قصيدته التي بدأها بقوله[9]:

ويوم ترى الآيات فيه كأنّـــها حوائِم طيرٍ مستدير وواقـــعُ

فيذكر الشاعر بوقعة مرج رهط، حيث اجتمع المروانية وهم الذين دعوا إلى مروان بن الحكم، وهم كلب وعبس وغيرهم من قبائل اليمن. والزبيرية وهم الذين دعوا إلى ابن الزبير، وهم قيس ومن حالفهم، فاقتتلوا قتالاً شديدًا، فكانت الدّبرة على قيس ورئيسهم زفر بن الحارث ومعهم الضحاك بن قيس؛ وكان يبايع لابن الزبير، فاتفقت اليمانية في مؤتمر الجابية على مبايعة مروان بن الحكم، فاقتتلوا سنة ٦٤هـــ. وفي هذه القصيدة يشير إلى طعنة زياد بن عمرو العقيلي، وهو مدبر مولٍّ ومنهزم[10].

وكان عمرو بن مخلاة شاعر آل مروان، وفيهم كان يقول يوم المرج[11]:

ضربنا لكم عن منبرِ الملكِ أهله بجيرون إذ لا تستطيعون منبرا

فكان من شعراء بني مروان الفرسان؛ إذ يشير إلى معاوية وأشياعه، وإلى موضع (جيرون) بالشام، مذكرًا بخذلان الضحّاك فيها[12].

القسم الثاني: الشّعر

قافية الدّال

[١]

قال عمرو بن مخلاة الكلبي: [الطويل]

١- رددْنــا لمروانَ الخلافــةَ بعدما جــرى للزُّبيريين كُلُّ بريــدِ

التخريج: **أنساب الأشراف:** ١٤٨/٥.

قافية الراء

[٢]

قال عمرو بن مخلاة، أحد بني جناب: **[الطويل]**

١-ضربنا لكم عن منبرِ الحقِّ أهله بجيرون، إذ لا تستطيعون، منبِرَا
٢-وأيّام صــدقٍ كُلُّها قد علمتُمُ نَصَرْنا ويومَ المرَجِ نصرًا مُؤَزّرا
٣-فلا تكفروا نُعمى مَضت من بلائنا ولا تمنحوهــا بَعْدَ لِينٍ تجبُّرا
٤-فَكَمْ من أميرٍ قَبْلَ مروانَ وابنهِ كشفنا غِطاءَ الكَرْبِ عَنه فابصرا
٥-ومُستسلمٍ نَفّسْنَ عنه وقد بَدَتْ نواجــذهُ حتّى أهــلّ وكبّــرا
٦-إذا افتخرَ القيسي فاذكر بلاءَهُ بزرّاعَةِ الضحّاكِ شرقيَّ جَوْبَرا
٧-فما كان في قيسٍ من ابن حفيظةٍ يعدُّ ولكن كُلُّهُمْ نَهْــبُ أشقرا

التخريج: **ديوان الحماسة:** ص ٤٧٨، الأبيات (١-٧).

شرح الحماسة: ٣٢/٤-٣٣، الأبيات (١-٧).

معجم البلدان: ١٣٥/٣ (الزراعة) الأبيات (١-٦).

معجم الشعراء: ص ٦٨. الأبيات (١-٣).

من اسمه عمرو: ص ١٢٤. الأبيات (١-٢).

١- في من اسمه عمرو: (الملك) وردت مكان (الحق).

وجيرون: حصن بدمشق. معجم البلدان: ٢/١٩٩ (جيرون).

٣- في معجم الشعراء: (فان) وردت مكان (فلا).

٤- في معجم الشعراء: (الغم) وردت مكان (الهم). وفي معجم البلدان: (الجهل) وردت مكان (الكرب).

[٣]

قال عمرو بن مخلاة يخاطب الوليد بن عبدالملك: [الطويل]

١-فتاة أبوها ذو العصابةِ وابنُه ... وعثمان ما أكفــاؤها بكثيرِ
٢-فأنْ نَفْتَلِتْها والخلافةُ تنقَلِبْ ... بأكرمَ عِلقِي منــبرٍ وسريرِ

التخريج: من اسمه عمرو: ص١٢٤

قافية العين

[٤]

قال عمرو بن مخلاة الكلبي يردُّ على زفر بن الحارث: [الطويل]

١-ويومٍ ترى الرَّاياتِ فيه كأنَّها ... حَوائمُ طَيْرٍ مستديرٌ وواقِعُ
٢-أصابتْ رماحُ القوم بِشرًا وثابتًا ... وحَزْنًا وكلٌّ للعشيرة فاجعُ
٣-مضى أربعٌ بعد اللقاء وأربعٌ ... وبالمرج باقٍ من دَمِ الجوفِ ناقعُ
٤-طَعَنَّا زيادًا في استِه وهو مدبرٌ ... وثورٌ أصابته السيوفُ القواطِعُ
٥-وأدرك همَّامًا بأبيضَ صارِمٍ ... فتىً من بني عمروٍ طُوَالٌ مشايعُ
٦-ونجَّى حُبيشًا ملهبٌ ذُو علالة ... وقد جُذَّ من يُمنى يديه الأصابعُ
٧-وقد شَهِد الصَّفَّيْنِ عمرُو بن محرزٍ ... فضاقَ عليه المرجُ والمَرْجُ واسعُ
٨-فمن يَكُ قد لاقى من المَرْجِ غِبطةً ... فكان لقيسٍ فيه خاصٍ وجادِعُ

٩-فَلَن ينصبَ القَيسيُّ للناسِ رايةً من الدّهر إلا وهو خزيانُ خاشعُ

التخريج: **ديوان الحماسة**: ص١٨٢. الأبيات (١،٢،٤،٥،٧،٨).

شرح الحماسة: ٢/٩٨-٩٩. الأبيات (١،٢،٤،٥،٧،٨).

الأغاني: ١٤١/١٩. الأبيات (١،٣،٤،٦،٧).

معجم الشعراء: ص ٦٨. الأبيات (٤،٩).

في معجم الشعراء: (وهو هارب) مكان (وهو مدبر).

قافية الميم

[٥]

قال عمرو بن مخلاة الكلبي: [الوافر]

١-خذوها يا بني ذُبيان عَقلاً على الأحيادِ واعتقدوا الخِداما

٢-دراهم من بني مروان بيضًا يُنجِّمها لكم عامًا فعاما

٣-وأيقنَ أنّه يوم طويلٌ على قيسٍ يذيقهم السِّهاما

٤-ومُختَبٌ أمام القوم يسعى كَسِرحانِ التَّنوفَةِ حين ساما

٥-رأى شخصًا على بَلَدٍ بعيدٍ فكبَّر حيـن أبصـره وقاما

٦-وأقبلَ يسأل: اليسرى إلينا فقال: رأيـت إنسًا أو نعاما

٧-وقال لخيله سيري، حميدٌ فإنّ لِكلّ ذي أجـلٍ حِماما

٨-فما لاقيتُ من شَمخٍ وبدرٍ ومُرَّة فاتركـي خَطبًا حُطاما

٩-بكل مقلَّص عبلٍ شواه يدقُّ بوقـعِ نابيه اللجاما

١٠-وكلّ طِمَّرة مَرطَى سبوحٍ إذا ما شـدّ فارسُهـا الحزاما

١١-وقائلة على دَهَشٍ وحُزْنٍ وقد بلّـت مدامعُهـا اللِّثاما

١٢-كأنّ بني فَزَارة لم يكونوا ولم يرعـوا بأرضهِمُ الثُّماما

١٣-ولم أرَ حاضرًا منهم بشـــاءٍ ولا مَن يملـــك النَّعم الرُّكاما

التخريج: **الأغاني**: ١٩/١٤٨-١٤٩. الأبيات (١-١٣).

أنساب الأشراف: ٥/٣١٠. البيتان (١-٢).

١- في **أنساب الأشراف**، الشطر الثاني، ورد:

على الأحياء واعتقدوا الخِزاما

٢- في **أنساب الأشراف**، ورد البيت هكذا:

مواعِد من بني مروان دَينًـــا نُدافعكم بها عامًا فعامـــا

وتبدو الرواية محرفة بوضوح، لأن البيت الأول يتحدث عن العقل، وهو الدية، فهي بالتالي دراهم منجّمة، أي على أقساط ومواعيد.

قافية الهاء

[٦]

قال عمرو بن مخلاة الكلبي مجيبًا زفر بن الحارث في معركة مرج راهط: [الطويل]

١-بكى زُفر القيسي من هُلكِ قومِهِ بعَـــبرةِ عَيْنٍ ما يجفُّ سُجُومُهَـــا

٢-يُبكّي على قتلى أُصيبت براهِطٍ تجاوبُـــهُ هـــامُ القِفـــارِ وبُومُهَـــا

٣-أبحنا حِمًى للحيِّ قيسٍ براهـــطٍ وولّت شِلالاً واستُبيـــحَ حَرِيمُهـــا

٤-يُبَكّيهم حَـــرانَ تَجْـــري دُمُوعُهُ يُرَجّي نِـــزارًا أنْ تئوبَ حُلُومُهـــا

٥-فَمُتْ كَمَدًا أو عِشْ ذليلاً مُهضَّمًا بحسرةِ نَفْـــسٍ لا تنام هُمومُهـــا

٦-إذا خَطَرَتْ حولي قُضاعَة بالقنا تَخبطُ فِعْـــلَ المُصعَّبات قُرُومُـــهَا

٧-خَبطْتُ بِهِمْ من كادني مِن قَبيلَةٍ فَمنْ ذا إذا عزَّ الـــخُطوبُ يَرُومُها

التخريج: **تاريخ الطبري**: ٥/٥٤٣.

[٧]

قال ابن مخلاة: [الطويل]

١-لقد طار في الآفاقِ أنَّ ابنَ بَحْدَل حُميدًا شفى كلبًا فقرَّت عيونُها

التخريج: **الأغاني**: ١٨٩/٢٣.

[٨]

قال عمرو بن مخلاة الكلبي: [الطويل]

١-جئتم من البَلَدِ البعيدِ نِيَاطُهُ والشَّأْمُ تُنكرُ، كَهْلَهَا وفتاها

التخريج: **لسان العرب**: مادة (شأم).

قافية الياء

[٩]

قال عمرو بن مخلاة الكلبي يجيب زفر بن الحارث في معركة مرج راهط:

[الطويل]

١-لعمري لقد أبقت وقيعة راهطٍ على زُفَرٍ داءً من الدّاءِ باقيا

٢- تُبَكِّي على قتلى سُليمٍ وعامرٍ وذبيانَ معرورًا وتُبكِي البواكيا

التخريج: **الأغاني**: ١٤١/١٩؛ وقد رُوِيَ البيتان لجواس بن القَعْطل في **تاريخ الطبري**: ٥٤٢/٥، وكذلك في **المؤتلف والمختلف**: ص ٩٩.

الهوامش:

(١) **معجم الشعراء**: ص ٦٨؛ **من اسمه عمرو**، ص١٢٣؛ **شرح الحماسة**: ٩٧/٢؛ **معجم الشعراء المخضرمين والأمويين**: ص ٣٣٥.

(٢) **لسان العرب**: مادة (حلا).

(٣) **ديوان حماسة أبي تمام**: هامش ص ٤٧٧؛ ينظر **جمهرة أنساب العرب**: ص ٤٥٦؛ **المقتضب** لياقوت: ص ٣١١؛ **معجم قبائل العرب**: ٧٦٤/٢؛ **تاريخ الطبري**: ٥/ ٥٤٣.

(٤) **معجم الشعراء**: ص ٦٨.

(٥) راهط، اسم رجل من قضاعة كانت به الوقعة بين قيس وتغلب. ينظر: **معجم البلدان**، ٢١/٣ (راهط).

(٦) **ديوان الحماسة**: ص ٤٧٧-٤٧٨.

(٧) **الأغاني**: ١٤١/١٩.

(٨) نفسه.

(٩) **شرح الحماسة**: ٩٨/٢-٩٩.

(١٠) نفسه: ٩٨/٢.

(١١) **من اسمه عمرو**: ص ١٢٤.

(١٢) **شرح الحماسة**: ٣٣/٤-٣٤.

ثبت المصادر والمراجع:

- **الأغاني**، الأصفهاني، دار الثقافة (بيروت، د.ت)

- **أنساب الأشراف**، البلاذري، ٠ج٥) ط. جوتين ١٩٣٩، أوفسيت، مكتبة المثنى (بغداد، د.ت).

- **تاريخ الطبري**، تح: أبوالفضل إبراهيم، ط٤، دار المعارف بمصر، د.ت.

- **جمهرة أنساب العرب**، ابن حزم الأندلسي، تح: عبدالسلام هارون، ط٥، دار المعارف بمصر ١٩٨٢.
- **ديوان الحماسة**، أبو تمام، تح: عبدالمنعم أحمد صالح، وزارة الثقافة والإعلام (بغداد، ١٩٨٠).
- **شرح الحماسة**، التبريزي، طبع مصر ١٩٣٩.
- **معجم البلدان**، ياقوت الحموي، دار إحياء التراث العربي (بيروت، د. ت).
- **معجم الشعراء**، المرزباني، تح: عبدالستار فراج، دار إحياء الكتب العربية، البابي الحلبي (القاهرة، ١٩٦٠).
- **معجم الشعراء المخضرمين والأمويين**، د. عزيزة فوال بابتي، دار صادر، ط١ (بيروت، ١٩٨٩).
- **معجم قبائل العرب**، كحالة، ط٢، دار العلم للملايين (بيروت، د. ت).
- **المقتضب من كتاب أنساب العرب**، ياقوت، تح: ناجي حسن، الدار العربية للموسوعات، ط١ (بيروت، ١٩٨٧).
- **من اسمه عمرو من الشعراء في الجاهلية والإسلام**، ابن الجراح، تح: محسن غياض عجيل ود. مصطفى جياووك، دار الشؤون الثقافية العامة (بغداد، ١٩٩٩).
- **المؤتلف والمختلف**، للآمدي، تح: عبدالستار فراج، مصر ١٩٦١.
- **لسان العرب**، ابن منظور، دار لسان العرب (بيروت، د.ت).

تعاليق على مسائل من كتاب "الخاطريات"
لأبي الفتح عثمان بن جني
تحقيق د. عبد الفتاح السيد سليم

بقلم: وليد محمد السراقبي

تقديم:

"**الخاطريات**" أثر نفيس من آثار ابن جني الشاهدة على علوِّ كعب مصنفه في الدرس اللغوي. صدر الكتاب بتحقيق الأستاذ علي ذي الفقار شاكر، عن دار الغرب الإسلامي. ونشرت مجلة "عالم الكتب" الغرّاء (مجلد ١٤، ع ٦، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م) مسائل من هذا الكتاب، أخلّت بها الطبعة الأولى منه، واضطلع بعبء تحقيقها الأستاذ الفاضل عبدالفتاح السيد سليم، الأستاذ في كلية اللغة العربية في (جامعة الأزهر) عمّره الله.

ثم نشرت "مجلة مجمع اللغة العربية بدمشـــق" (مجلد ٦٧، ع ٣، ١٩٩٢م) المسائل ذاتها، وندب نفسه لتحقيقها الدكتور محمد الدالي، أستاذ النحو والصرف في جامعة دمشق، ولدى العودة إلى التحقيق المنشور في مجلة "عالم الكتب"، ومقارنته بتحقيق الدكتور الدالي، ألفيتُ ما يقرب من صفحتين أخلّ بهما تحقيق الأستاذ عبدالفتاح السيد سليم، ووجدت بما لا يدع مجالاً للشك أن تحقيق الدكتور الدالي يُعطي نصًّا لغويًّا دقيقًا دقة تقترب به من النص الأصلي.

وكانت لي على تحقيق السيد سليم بعض التعاليق التي تقوِّم اعوجاج النص، وتقترب أكثر فأكثر من روح النص الأصلي لابن جني، وقد كسرت هذه التعاليق على قسمين، الأول: خصصته للمسائل الواردة في المتن، والثاني: جعلته لما تتطلبه حواشي السيد سليم من تصحيح أو زيادة، ورمزت للصفحة بـــ(ص) وللسطر بـــ(س)، وللعمود بـــ(ع).

وإنني -إذ أُدوِّن هذه التعاليق- لأسأل الله تعالى أن يجنّبنا الزلل في القول، والخطأ في الرأي، وأن يجعل عملنا خالصًا لوجهه الكريم، والله من وراء القصد.

أوّلاً: المتن: ص ٦٥٨ س ٦ ع ١:

.... وجاءت الريحُ تخطو إثر ما صنعا

ولا معنى لروايته (تخطو)، والصواب في رواية البيت:

.... وجاءت الريحُ تعفو أثر ما صنعا

س ٩ ع ١:

وأضف مأطور القِرى كان جُنَّةً من السيل غالته الوليدة بالقَهْـــرِ

والبيت على هذا النحو مختل الوزن، مضطرب المعنى، والصواب فيه:

وأحْنَفَ مأْطُور القَرا كان جُنَّةً من السيل عالته الوليدة بالفِهْـــرِ

وقد شرح المحقق في الحاشية (٢٩) معنى كل من الحـــَنف، والأحنف، والقَرا. وأما شطره الثاني فمعناه أن الأمَة قد عالته بالفِهْر، والفِهْر: حجر مِلْءُ الكف. وأشار الدكتور الدالي إلى أنّ رواية (القَهْر) تصحيف، وهو الصواب. والمراد بالبيت أن الأمَة قد وضعت حجرًا فوق الحفير دَرْءًا

للخيمة من السيل، أما القَهْر فهو الأخذ من فوق على سبيل الغلبة، ولا أرى له وجهًا هنا.

س ١٤ ع ١: ... فاستعاره هنا لموضع الخلخال

أقول: اللام في كلمة (الموضع) ليست في الأصل المخطوط كما يظهر من قول الدكتور الدالي، وقد زادها السيد سليم من غير ما إشارة إلى ضرورة زيادتها، وهذا من أبجديات التحقيق.

س ١٨ ع ١:

.... من ماء مَوْهَبَةٍ على شُهُـــدِ

الموهِبَة: الصخرة.

أقول: الموهِبَة -بكسر الهاء- العطيَّة، والصواب في ضبطها.

(الموهَبَة)، وهي الغدير الصغير، أو النَّقرة في الصخرة.

س ٢١ ع ١:

إذا انقطـــع الإمار تَناولتـــه بأسبـــابٍ قصارٍ أو طـــوالِ

هكذا أثبت الرواية (الإمار)، وفسَّرها بالقُلامة، والصواب: (الأَمَار) و(العلامة).

س ٢٩ ع ١: سقط من تحقيق الأستاذ عبدالفتاح كلمة أنشد، وجعلَ المحقق الشطر الأول والبيت الثاني في فقرتين، بينما هما عند الدكتور الدالي -وهو الصواب- في فقرة واحدة، والأوّل صدر بيت لعوف بن عطيَّة بن الخَرِع، وعجزه:

تتخذ الفأر فيه مغارا.

والبيت في "**شرح اختيارات المفضل**" للخطيب التبريزي: ١٦٦٣، و"**المفضليات**": ٤١٤، و"**الكامل**" (تحقيق الدالي): ١٠١٤، و"**أدب الكاتب**": ١٢٠، و"**الاختيارين**": ٤٨٢.

أما البيت الثاني، فهو أحد ثلاثة أبيات لزيادة بن زيد بن مالك العُذْري (انظر خبره مع هدبة بن الخشرم العذري في: "**أسماء المغتالين**"، "**نوادر المخطوطات**" ٢:٢٧٤، وما بعدها). والأبيات -ومنها هذا البيت- في "**شرح حماسة أبي تمام**" للتبريزي بلا نسبة ٢:١٤، وروايته هناك:

تركنا بالعُوَيْند من حسين

والبيت في: "**الفصول والغايات**" منسوبًا إلى هدبة، وهو غير منسوب في "**معجم البلدان**" ٢:٢٦٠ (الحسنان)، و"**معجم ما استعجم**": ٤٤٨، و"**اللآلئ**": ٢٨٧، و"**الصحاح**" و"**اللسان**" و"**التاج**" (حسن).

ص ٧ ع ١: روى البيت:

إذا البيــــدَاء أرْملَ أصرمـــاهُ   فثمَّ أكلف الحملَ الخليـــلا

....   ويحمدني إذا ترك المقيـــلا

وهو عند الدالي برواية (أزْمل)، ولعلّ الصواب (أرملَ). والأصرمان: الغراب والذئب لانصرامهما وانقطاعهما عن الناس. "**اللسان**" (صرم). ولعل المراد بالبيتين أنه إذا ما أقفرت البيداء ولم يجد فيها الذئب والغراب طعامهما فإنه ينحر بعيره لخليله. و(أرمل) من قولهم: أرملَ القومُ: إذا نفدَ زادهم، والمرْمِلُ: الذي نفد زاده... وأصله من الرمل، كأنهم لصقوا بالرمل، كما قيل للفقير: التَّرِب.

وأما الشطر الثاني من البيت الثاني، فلعلّ الصواب فيه رواية السيد سليم لا رواية الدكتور الدالي؛ ذلك أن الدالي رواه (نزل المقيلا)، وأرى أن المعنى أن الضيف يثني عليه ويحمده إذا ما غادره.

س ٦، ع ٢:

تظلّ به العِشـــارُ محرَّماتٍ ويمنع أهلها المعزى الرُّبابُ

زاد المحقق كلمة (به) ليستقيم له الوزن من غير أن يشير إلى أنها زيادة من عنده يقتضيها السياق. وقوله: (محرَّمات) لا معنى لها على هذا الوجه، ولعل الصواب ما أثبته الدالي (مخزَّمات)؛ ذلك أن الشاعر يصف موضعًا سمنت فيه عشاره حتى أنفتقت سمنًا، فشُدَّ أنفها بالخزامة، وهي حلقة من شعر تجعل في وترة أنف البعير لمنعه من الأكل.

س ٩، ع٢: قال المحقق: (فيسدّن أنفها)، ولا معنى لسدّ الأنف هنا، ولعلّ الصواب: (فيشدُّون آنفَها)، والضمير في (آنفها) عائد على مجموعة من العشار.

س ٢٢، ع ٢: (...فلم يدر أنهم يريدون الإعراب، فأتى الحاديَّ، وأتى بأدهان وبحجر، وأتى بنَّة الإبل الصادرة، أي من طيب ما تأكل تجد لها بنَّةً).

أقول: الخبر في كتاب "**النبات**" لأبي حنيفة الدينوري، وقد أفسد السيد سليم معناه على هذه الرواية، والصواب فيه: (فأَيْنَ الحاديّ؟ فأين أدهان بحجر؟ فأين بنّة الإبل الصادرة؟).

ص ٦٥٩، س ٩، ع ١: أسقط الأستاذ سليم تعليق ابن جني على شرح عبارة: (عُ: يعني فشنَّ في الإبريق)، ويرمز الحرف (ع) إلى اسم المؤلف عثمان بن جني، وهي مثبتة في تحقيق الدالي.

س ٣١: قال سيبويه في تحقير (عِثْوَلٌ): (عُثَيِّل وعُثَيْول) واحتج بأنه ملحق بـــ(قِرْشَبٌ)، فكما تقول في تكسيره: قراشب، فكذلك تقول: عَثَاوِل وعَثَاوِيل.

أقول: في "**الكتاب**" ٤:٤٣٠ (وإذا حقّرت عِثْوَلٌ قلت: عُثَيِّل وعُثَيِّيل)، وليس فيه ما ذكره المحقق، وهو (عُثَيْول). ثم إنّ الدكتور الدالي أورد في المسألة ذاتها ما ذكره سيبويه من تكسير (عِثْوَلّ) فقال: (عَثَاوِل وعُثَيِّل).

س ٢٤، ع ٢: (وكلّما قوي الشبَهُ بينهما كان أذهب في الصيغة).

أقول: لعل الصواب ما ذكره الدكتور الدالي، وهو (أذهب في الصنعة)، والمراد بها صنعة التصريف.

س ٢٩، ع ٢: [فـــ(عِثوَلّ) كـــ(قِرْشِبٌ)]. والصواب ما عند الدالي [فـــ(عِثوَلّ) بـــ(قرشب)]؛ ذلك أنّ ما بعده يشير إلى أن السياق سياق تفضيل، وهو قوله: "أشبه بـــ(جِرْدَحْل)، أي: شبه (عِثْوَل) بـــ(قِرْشَبّ) أكثر من شبهه بـــ(جِرْدَحل)".

ص ٦٦، س ١، ع ١: (هو عندي كقولهم:). والصواب بـــ(كقوله)، أي: كقول الشاعر.

س ٣، ع١: ولا وجه لهذه الرواية، والصواب (شيخ عارم)؛ والعارم: الشديد، من قولهم: عرمَ الإنسانُ يعرُم ويعرِم وعَرِمَ وعَرُم عَرَامة وعُرَامًا: اشتدّ.

س ١٠، ع ١: كـ[(ماء دافق)، أي: مدفوق، وناقة ضارب، أي: مضروبة و(عيشة راضية)، أي: مرضيّة].

أقول: أهمل السيد سليم تخريج الآيتين الأولى والثانية، وهما (ماء دافق، وهي جزء من الآية السادسة من سورة الطارق، و(عيشة راضية)، وهي جزء من الآية الحادية والعشرين من سورة الحاقة، والآية السابعة من سورة (القارعة).

س ١٧، ع ١: (وقال: نظرت الأرض: إذا ظهر فيها)، والصواب: (إذا ظهر نَبْتُها). انظر "**الخاطريات**": ١٥٥ ففيه البيت مع آخر، وانظر تخريجه ثمّة.

س ٢٢، ع ١:

إذا البيضة الصمَّاءُ عضَّتْ صفيحةً ....

كذا رواه المحقق، والصواب في روايته:

إذا البيضة الصمَّاء عضَّتْ صفيحةٌ بحربائها ....

بضم (صفيحة) مع التنوين، فالفاعل (صفيحة) وليست مفعولاً به، كما توهّمها المحقق. والمعنى: إذا عضَّتْ صفيحةٌ بحر ماء البيضة الصمَّاء، والصفيحة وجمعها صفائح: حجر رقيق عريض، وكذا رواية البيت في **الخصائص** ٢:٤٥٤.

س ٢٥، ع ١: (تكاد تستعمل معارف أسماء الزمان نكرات). ولعلّ الصواب (تستحيل)، أي تصير نكرات لكثرة الاستعمال؛ وعلى هذا النحو أثبتها الدكتور الدالي، ص ٢١، س ٢.

س ١، ع ٢: (فتعمل فيه ظرفًا). والصواب (فيعمل فيه ظرفًا)؛ لأنّ الضمير عائد على الفعل قبلها.

س ٤، ع ٢: (وأيضًا فإنه لا يُردُ في اليد من الزمان حقيقة تبلُّ بها). ولعل الأقرب إلى الصواب ما ذكره الدكتور الدالي (يبردُ)، وقد ذكرها الأستاذ عبدالفتاح (يُرْدُ) ولا وجه لها على هذا النحو.

س ١١، ع ٢: (حدثني أبو سعيد الجنباني). والصواب: (أبو سعيد الجنَّان).

س ١٣، ع ٢: (فقال: يا ليلة). والصواب: (فقال لي ليلة).

س ٢٢، ع ٢: قال في التعليق على بيت أبي الوليد الحارثي:

نفِسوا القليل عليك منه وعنده لو ناله منـــك القليل كثيـــرُ

[أي: والقليل منك عنده -لو ناله- كثير... و(منه) من القليل الأول، وفصل بينهما بـــ(عليك)، وهو معمول].

أقول: أسقط المحقّق الحرف (ع) في أول التعليق، والمراد به عثمان بن جني، وأسقط أيضًا كلمة (حال) بعد قوله: (ومنه)، وأسقط أيضًا (نفسوا)، بعد قوله: (وهو معمول)، ويصبح الكلام على هذا النحو: عُ: أي، والقليل منك عنده -ولو نَالَهُ- كثير؛ ففي (نال) ضمير القليل، و(منه) حال من القليل الأوَّل، وفصل بينهما بـــ(عليك) وهو معمول نفسوا.

س ٣١، ع١: (إلى غير ذلك، قول الله تعالى...)

ولعل الصواب: (إلى غير ذلك، وقول الله تعالى)، أي بزيادة الواو قبل (قول)، وكذا ورد في تحقيق الدالي.

ص ٦٦١، س ٦، ع ١: (ونحوه – إن عكسته).

والصواب: (ونحوه، وإن كان عكسه) كما أثبته الدكتور الدالي.

س ٣٢، ع ١: (وهدأ وأهدأته).

أقول: أسقط المحقق كلمة (هدّأته).

س ٣٤، ع ١: (...ومصدرًا كالباغي والفالح والباطل).

والصواب: (ومصدرًا كالباغز -يعني النشاط- والفالج، والباطل).

س ٢٠، ع ٢: (نحو: رُبَيْدان ورُيهتان).

أقول: لعل الصواب في الأولى: (رَيْدان) وفي الثانية: (دَيْهقان). انظر: "**الخصائص**" ٢:١٩٤، و"**التاج**" (ربد) و"**الجمهرة**" ٣:٤١٣، **وسيبويه** ٢:٣٢٣ (نقلاً عن حواشي "**سفر السعادة**" ١:٢٨٦).

س ٢٧، ع ٢: (تُرْجمان). ولعل الصواب: (تَرْجمان).

ص ٦٦٢، س ٧، ع ١: (لما اتصل بالخبر من الصفة الزائدة [في] المعنى على مجرد المبتدأ).

أقول: زاد المحقق [في] بين حاصرتين من غير إشارة إلى السبب في زيادته إياها، ثم إنه ليست ضرورية؛ لأن التركيب باقٍ على الإضافة.

س ٢٨، ع ١: (فلما كان كذلك لم يحسن الشرط). ولعل الصواب: (فلما كان كذلك لم يجيبوا الشرط)، أي لم يجعلوا له جوابًا.

س ٥، ع ٢: [لما جاز أن تباشر (إمّا) هذه]. الصواب: [أن تباشر (أمّا) هذه]؛ لأن الكلام عليها في الموضعين.

س ١٨، ع ٢: (ونحو "وَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ" [البقرة: ٢٣٥]). والصواب أنها الآية ٢٣٦ من سورة البقرة.

س ٣٤، ع ٢: إذا سمعت صــوتها الخـــرَّارا

أضمر يهوي وقعها الصرارا

أقول: رواية البيت الثاني على هذا النحو (أضمر) خطأ مطبعي؛ ذلك أن المحقق شرحها على الصواب (أصمَّ) وروايته في "**ديوان العجاج**":

يهوي أصمَّ صقْعُها الصِّرارا

وروايته في "**المعاني الكبير**": ١١٠٤:

يهوي أصمَّ صفعها الصَّرارا

ص ٦٦٣، س ١٨، ع ١: (إلا أن بينهما فرقًا):

أقول: أسقط المحقق كلمة (ما) بعد قوله: (فرقًا)، وقد ذكرها الدكتور الدالي.

س ٣٤، ع ١: (أي عمَّرتُك الله تعميرًا).

أقول: سقط بعد هذه العبارة كلام كثير يقارب الصفحتين، وهما ص ٣٨، ٣٩ من تحقيق الدكتور الدالي، وفيما يلي صورتهما:

"وقالوا: عَلِق الشيءُ بالشيء، وقالوا: غَلِق الرجلُ: إذا لم يتجه لأمره، ففصلوا بين المعنيين باختلاف الحرفين، وخصوا أحدهما بالعين؛ لأنها أنصع من الغين، وذلك أن الشيء إذا علق بالشيء خصَّ موضعًا منه، وخلص له كالرجل يُغْلِقُ صاحبه يده، وكالخطّاف يعلق بغيره، ونحو ذلك، وليس كذلك الغين. ألا ترى أن الغَلَق انطباق الشيء وتحيزه لا يخص جهة دون جهة كالقلب لا يُهتدى لوجهه ولا يُنصع لحال مختصه. وكذلك "غَلِقَ"

الرَّهن؛ لأنه لا يهتدى له ولا يُنصُّ على حال محصّلة منه. فلصفاء العين ونصاعتها ما خُصّت بالشيء يعلق بالشيء مختصًا بجهة مميزة، ولغلظ الغين وانغمامها ما خصت بما تصحبه الحبسة والحيرة، ولا توضع اليد منه على ناحية مخلصة.

فتفطن لهذا ونحوه، وسرّ حكمة هذه اللغة الشريفة، وتأتَّ له، ولا تجفُ عليه. ألا ترى أنهم قالوا لمن لا يتجه لأمره: عَيَاياء طَبَاقاء، فـ"طباقاء" مما نحن فيه، وقال الله سبحانه: (أَيْنَمَا يُوَجِّهْهُ لاَ يَأْتِ بِخَيْرٍ) [سورة النحل: ٧٦]. وكلام العرب أغمض وألطف، وإنما نتلامح وحيًا ونشاهد لطفًا.

٤٠=[٢٦٥] مسألة:

قولهم: مررت برجلٍ عاملٍ كاتبٍ، من غير عطف الصفة الثانية على الأولى = يؤكّد ما يذهب إليه من أن الصفة الثانية صفة للموصوف موصوفًا بالصفة الأولى، فالضمير في الصفة الثانية إذًا عائد على الموصوف والصفة الأولى جميعًا. وهذا يدلّ أيضًا على شدة اتصال الموصوف بالصفة، مضافًا إلى ما يدل عليه من الأماكن من غير هذا الوجه.

٤١ = [٢٦٦] مسألة:

قال بشامة بن الغدير:

دَرَسَتْ وقَدْ بَقِيَتْ عَلَى حِجَجٍ   بَعْدَ الأَنِيسِ عَفَوْنَها سَبْـــعِ

قدّم الظرف في وصف النكرة على الجملة والجملة على المفرد. وأعدلُ من هذا البيت الآيةُ وهي قول الله سبحانه: (وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ) [سورة غافر: ٢٨] ألا تراه قدّم المفرد على الظرف

والظرف على الجملة؟ وهكذا يجب في الترتيب؛ لأن الموضع للمفرد، والظرف أقرب إلى المفرد من الجملة، والجملة فيما بعد.

وقال عزّ اسمه: (وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى) [سورة القصص: ٢٠] فقدّم الظرف على الجملة كما ترى، هذا إذا جعلتهما صفتين، وكذا ينبغي.

بقي في القسمة شيء آخر، وهو أن ترفع الصفة المفردة مُظْهَرًا نحو مررت برجل قائمٍ أخوه، فهذا في الرتبة قبل الظرف، وبعد الصفة المفردة الرافعة للمضمر، نحو مررت برجل ظريف، فاعرفه".

س ٣٢، ع ٢: (والذي أراه في هذا أنه ينبغي أن يكون معنى الفعل مفادًا من معنيين: لفظ المنادى [ومعناه] إذا كان فيه غير معنى الفعل).

أقول: لعل الصواب في إسقاط كلمة (معنيين) وزيادة كلمة (ومعناه) فيصبح الكلام على هذا النحو: (... معنى الفعل مفادًا من لفظ المنادى ومعناه...).

ص ٦٦٤، س ٢٣، ع١: (... من قوة شبه الظّرف بالفعل أن شُرِطَ به، وأن أجيبَ الشرط به)، وقوله تعالى: (إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ).

أقول: الكلام على هذا النحو غير تام، والصواب زيادة كلمة (ونحو) قبل (قوله تعالى).

س ٢٩، ع ١: (أجلَ الظلمِ وربقةَ السرْحان).

الصواب: أجلِ الظلمِ وربقةِ السرْحان، لأنه وصف بالاسم، كما وصف الأول بـــ(مثيرة) و (إشفى)؛ وكذلك روايته في الديوان ٤: ١٧٩.

س ٣٠، ع ١: (فأجمع بينهما). والصواب: (فاجمعْ بينهما)، بهمزة وصل.

س ٣٢، ع ١: (أستغفر الله وأستقيلُهْ).

أقول: أورد الأشطار مقيَّدة القافية. والصواب أنها مطلقة.

س ٣٣، ع ١: (ما أنا ممن سَيْبه يهوله). والصواب: ما أنا ممن شيبه يهولهُ. والمعنى: لستُ ممن يخيفهم تقدّمهُمْ في العمر، وظهور الشيب في أنحاء رؤوسهم.

ص ٦٦٤، س ٣٥، ع ٢: (ورجلايَ مدليتان). والصواب: (مدلاّتان).

س ٣٥، ع ٢: (يُطَاف الحرُّ إليّ). والصواب: (بطاق الحرَّاني)، وهو محلّة في بغداد. انظر: "**معجم البلدان**" ٤/٥.

ص ٦٦٦، ع ١، س ١: (...أربعين يومًا، لا أترك). ولعل الصواب: (فأقمت بصفِّ شوناز أربعين يومًا لا أتحرك)، ذالك أن الراوي أصيبتْ رجلُه بحرق وأشار عليه الطبيب بلزوم الدار.

س ١٩، ع ١: (ولا أوثر أن أروي عنه حَرفًا).

كذا وردت، ولعل الصواب قراءة الدكتور الدالي: (لا أجسر)، ذالك أن المعنى أن لدى ثعلب سماعًا لا يجرؤ على رواية حرف منه لاتهامه في ذالك.

س ٢٣، ع ١: (اعلم أن جميع ما حُذف منه حرفُ الجرِّ مع الفعل تحقيقًا). ولا معنى لقوله: (تحقيقًا)، والصواب (تخفيفًا)، كما أثبته الدكتور الدالي.

س ٣٣، ع ١: (ومن ظنَّ عمَّن يلاقي الحروب بأن لا يصاب فقد ظنَّ عجزًا).

أقول: أعجب ما في الأمر أن المحقق جعله نثرًا، ثم علق عليه في الحاشية بقوله: "البيت من المتقارب"، ولعل وضعه على هذا النحو من أخطاء الطباعة.

س ٣٥، ع ١: (وحذف الموصوف، وأقام مقامه). والكلام على هذا النحو فيه سقط، والصواب: (وأقام الصفة مقامه)، وهو مذهب لدى العرب معروف.

س ٢٥، ع ٢: (ففيه كافٍ بالعِظم الأمر وشدَّته). والصواب: (...لعظم الأمر وشدَّتِه).

ص ٦٦٦: طاوِ المصير كسيف الصيقل العزه.

أقول: الصواب في روايته: طاوِ المصير كسيف الصيقل الفَرِدِ. وسيأتي تخريجه.

س ٧، ع ٢: (وذالك الياء يسقط لالتقاء الساكنين فيبقى على الوصل).

أقول: الصواب ما أورده الدكتور الدالي ص ٥٣: (وذالك يسقط الياء لالتقاء الساكنين).

ص ٦٦٧، س ٢٧، ع ١: (كنا رأينا قبلُ في قول:

ولقد يغنى به جيرانك الْمُمْ..............)

أقول: سقط قبل الشاهد اسم صاحبه ← (عَبيد)، وهو عبيد بن الأبرص.

س ٣، ع ٢: (ما جاء من استعمال المعتلّ العين مصحَّحًا...).

ولعل الصواب: (ما جاء من "استفعل" المعتل العين مصحَّحًا)؛ ذالك لأن المراد بالكلام وزن (استفعل) لا مجرد استعمال المعتل العين مصحَّحًا.

س ٢٣، ع ٢: (أأخاف أحقادًا لديك أمانة).

ولعل الصواب: أأخاف إحضارًا لديك أمانة..

وكذلك ما أثبته الدكتور الدالي في تحقيقه.

ص ٦٦٨، س ١٩، ع ١: (سرٌّ في قيامُك إلى زيد)، ولعله خطأ مطبعي صوابه: (سرَّني قيامك إلى زيد).

س ٣٦، ع ١: (...لا يتَناولان نفس الجوهر...)

أقول: وردت هذه العبارة عند الدالي على هذا النحو: (يتناولان لنفس المصدر)، وعلّق عليه في الحاشية بقوله: (كذا وقع بزيادة اللام في المفعول). وكان على الأستاذ عبدالفتاح أن يشير إلى ذالك في تحقيقه، فيذكر ما عنده في الأصل، ثم يشير إلى تصرُّفه في النص، وهذه أولى بَدَهِيَّات صنعة التحقيق!!

س ١٠، ع ٢: (قال سبحانه: "إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ" النحل: ١١٥).

أقول: كان على المحقق أن يشير أيضًا إلى أنها الآية ١٧٣ من سورة البقرة.

س ١٨، ع ٢: (وأنت -إذن- تصوَّرْتَ فيه المعنى الحدث).

ولعل الصواب: (وأنت إذًا تصوَّرت فيه معنى الحدث).

ص ٦٧٠، س ٢٨، ع ١: (من باب قوله....) وعلق في الحاشية: (بياض في الأصل).

أقول: أورد الدكتور الدالي الشاهد، وهو:

لسنا كما حَلَّتْ إِيادِ دارها

وهو صدر بيت للأعشى الكبير، وعجزه:

تكريتُ تنظر حبَّها أن يحصدا

وروايته في الديوان: ٢٨١:

لسنا كما حلّتْ إيادٌ دارها

وهو في "**الخصائص**" :٢:٤٠٢ – ٣:٢٥٦.

س ٢٥، ع ٢: (فغنينا عن إعلانه هنا)

ولعل الصواب: (فغنينا عن إعادته هنا)، وكذلك أثبته الدكتور الدالي، ص ٦٨.

ص ٦٧١، س ٢٨-٢٩: (على ارتفاعه بالفعل في قول بعض الأعراب: وما أدراك أين أنت أيّنهُ ، فتفهَّمه).

أقول: كان على الأستاذ المحقق أن يحسن التمييز بين الشّعر والنثر والمراد بقول الإعراب، شاهد شِعري وروايته:

وما أدراك أين أنت أيّنهْ. بتقييد القافية.

الحواشي: الحاشية ٣١: يضاف إلى التخريج: (البيت في "**تهذيب اللغة**" ٦:٦٦٤، و"**اللسان**" (وهب). وروايته فيه:

أشهى إن بذلت لنا.. ...... على خـــمر.

نقلاً عن "**المحكم**" لابن سيده، الروايتان في "**تاج العروس**" (وهب).

الحاشية ٥٢: لم يخرِّج المحقق قول الشاعر:

قدْ طرَّقَتْ ناقتهم بإنسان

والبيت لسالم بن دارة الغطفاني، وهو في "**الخصائص**" ٣:٩١، و"**اللسان**" (حدب).

الحاشية ٥٣: علّق على قول الشاعر:

دَعَـــوْنا نَـــزَالِ فلم يترلـــوا وكانت نَـــزَالِ عليهم أطُمْ

(البيت من المتقارب و لم أهتد إلى قائله).

أقول: بل قائله جُرَيبة بن الأُشَيْم الفقعسي، وهو في "**شرح حماسة أبي تمام**" للمرزوقي: ٧٧٦، و"**الإنصاف**": ٥٣٥، و"**اللسان**" (نزل).

الحاشية ٧٥: اقتصر المحقق على تخريج البيت من "**المحتسب**" ٢:٢٤٢، و"**اللسان**" (غضا)، والأوْلى تخريجه من "**ديوان رؤبة**" ص ٨٢، ويضاف إلى تخريجه: "**المقتضب**" ٤:١٧٩، و"**اللسان**" (غضي).

الحاشية ٧٦: قال: [رجز للعجاج: انظر "**لسان العرب**" (دلا)].

أقول: البيت في ملحقات "**ديوان العجاج**" ٢:٤٧٥ (صنعة أستاذنا الدكتور عبدالحفيظ السطلي)، وهو غير منسوب في "**المقتضب**" ٤:١٧٩، و"**اللسان**" (دلو) وليس (دلا) كما ذكر المحقق.

الحاشية ٧٨: يضاف إلى التخريج: البيت في "**تهذيب اللغة**" ٣:٢٨٩.

الحاشية ٧٩: اقتصر المحقق في تخريج قول لبيد:

الناطقَ المبروزُ والمختومُ

على "**لسان العرب**" (برز). والبيت في "**ديوان لبيد**": ١١٩، و"**الكتاب**" ٢:٢٧٤، و"**الخصائص**" ١:١٩٣.

الحاشية ٨٥: يزاد في التخريـــج: والبيتان في "**تهذيب اللغة**" ١٢:٣٧٧ و١٥:٢٩، و"**اللسان**" (اسم) مع اختلاف في رواية البيت الأول.

الحاشية ٨٦: علّق على قول الشاعر :

قومٌ إذا عقدوا عقدًا لجارهم ....

فقال: صدر بيت من البسيط، ورد في "**لسان العرب**" (عقد) غير منسوب.

أقول: البيت للحطيئة في ديوانه: ١٦ (طبعة دار صادر) وعجزه:

.... شدّوا العِناج وشدُّوا فوقه الكرَبا

والعِنَاجُ حَبْلٌ أو بِطانٌ يُجعل في أسفل الدلو؛ والكَرَب: عقد مثنًى يُشَدُّ على العَرَاقي، ومعناه: إذا عقدوا أوفوا لمن عقدوا، وكان عقدهم وثيقًا. وانظر: "**المعاني الكبير**": ١١٠٦ (طبعة دار الكتب العلمية، ط ١، ١٩٨٤).

الحاشية ٩٦: يضاف إلى التخريج "**الخاطريات**": ١٠٥.

الحاشية ١٠٠: يضاف إلى التخريج: "**كتاب الشّعر**" لأبي علي الفارسي: ٧٣، و"**شرح المفصل**" ٣١:٨، و"**الإنصاف**": ٢٨٥، و"**خزانة الأدب**" ١٦٥-١٦٦.

الحاشية ١١٤: يضاف إلى التخريج: "**المقتضب**": ٣٢١، ٤: ٣٣١، و"**خزانة الأدب**" ٤٨٦/١.

الحاشية ١١٥: يضاف إلى التخريج: "**الخزانة**" ١: ١٦٤-١٦٦، و"**المقتضب**" ٣٦:٢، ٨٦، ٣٢١، و ٤: ٣٣١، و"**الكامل**": ٤٧، ٤٨. وقال المحقق في الحاشية: "وينسب هذا البيت إلى عَمر بن معد يكرب، أو أعشى طِرْوَد". والصواب: (... إلى عَمرو بن معد يكرب، أو أعشى طَرُود).

الحاشية ١١٨: كان الأَوْلى أن يخرِّج البيت من شِعر دريد ص ٤٧، لا من "**اللسان**" فحسب.

الحاشية ١٢٧: علق على قول الشاعر:

طاوِ المصير كسيف الصَّيْقل الفَرِدِ

فقال: "لم أهتد إلى قائله أو تكملته".

أقول: له العُذْر في عدم اهتدائه، ذالك لأنه لم يُحْسن قراءة الكلمة الأخيرة من الشطر، مع أن بقية الشطر معهودة لكل شداة العربية، وهذا الشطر عجز بيت للنابغة الذبياني، وصدره:

من وَحْش وَجْرة مَوْشِيٌّ أكارعه   طاوِ المصير كسيف الصَّيْقَل الفَرِد

فلم يحسن المحقق قراءة كلمة آخر البيت وهي (الفَرد) فقرأها (العَزه) ولا معنى لها هنا، والبيت من قصيدة مشهورة للنابغة الذبياني، وهو في ديوانه ص٧، بتحقيق المرحوم شكري فيصل، وص ١٧ (صنعة الأعلم) و"**تهذيب اللغة**" ١٤:٩٩.

الحاشية ١٢٨: قال في التعليق على قول الشاعر:

وإني لأبكي اليوم من حذري غدًا   فراقك والحيّان مؤتلفانِ

قال: "البيت من الطويل، و لم أهتد إلى قائله".

أقول: بل البيت لمجنون ليلى، ص ٢٧ (صنعة الدكتور عبدالستار فرّاج) رحمه الله.

الحاشية ١٣٣: قال: "... وهو غير منسوب في "**ضرائر الشّعر**" للقزّاز: ١٠٢".

أقول: البيت في "**ديوان عَبيد**": ١٢٠، و"**الخصائص**" ٢:٢٥٥.

الحاشية ١٦٥: قال: "رجز لم أهتد إلى قائله".

أقول: هو في "**شرح ديوان المتنبي**" المنسوب إلى العكبري ٣/٢٥٢.

وبعد، فقد كانت تلك جملة من تعليقات لم أُرِدْ بها شهرةً ولا تشهيرًا، ولا ابتغيت من ورائها لأحدٍ عيبًا أو انتقاصًا، فلكل مجتهد نصيب، وكل ما سعيت إليه أن أرأبَ ما في النص من صدوع، لإيماني الوطيد بأن ردَّ الحق إلى نصابه واجب في عنق أبناء العربية، ودليل بيِّنٌ منهم على اعترافهم بفضل السابقين على خالفيهم.

- **من أعلام الفكر العلمي في الحضارة الإسلامية، معجم ببليوجرافي، تأليف الدكتور أمين سليمان سيدو، ط١، الرياض: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، سنة ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م، ٧٢٠ صفحة.**

لا أحد ينكر فائدة المعاجم الببليوجرافية، والفهرسات التي تيسر المادة العلمية لطالبها، وتبسط أمام الباحث آفاق المادة من خلال المعلومات الببليوجرافية المتنوعة. وفي هذا السياق المفيد، أصدر الدكتور أمين سليمان سيدو هذا الكتاب الذي يتناول ١٧ عالِمًا شهيرًا ممن كان لهم إسهام بارز في حضارة الإسلام هم: ابن البيطار المالقي، ابن حزم الأندلسي، ابن النفيس الدمشقي، أبو بكر الرازي، أبو بكر بن طفيل، أبو حيان التوحيدي، أبو الريحان البيروني، أبو عثمان الجاحظ، أبو علي بن سينا، أبو محمد الخوارزمي، أبو نصر الفارابي، أبو الوليد بن رشد، جابر بن حيان، الحسن ابن الهيثم، حنين بن إسحاق، عبدالرحمن بن خلدون، يعقوب بن إسحاق الكندي.

بدأ الكتاب بمقدمة عن مشكلة البحث وأهدافه وحدوده ولغته وأهميته ومنهجه والدراسات السابقة قبله. وكانت خطة المعالجة كما يأتي:

١- الترجمة

٢- القائمة الحصرية بعناوين مؤلفات الشخصية

٣- الشخصية في آثار الدارسين. وتنقسم هذه الدراسات إلى قسمين، دراسات خاصة وأخرى عامة.

شملت الفهرسة ما نُشر في صورة كتب، وما نُشر في المجلات العلمية والثقافية. وقد أورد المؤلف قائمة بأسماء المجلات التي شملها التكشيف في آخر الكتاب. كما أورد جريدة للمصادر والمراجع. وحبذا لو أورد كشافًا للأعلام، والكتب في الأقل.

أ. م. ض.

- **معجم ما أُلّف عن مكة، تأليف د. عبدالعزيز بن راشد السنيدي، الرياض ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م، ٥٨٨ صفحة.**

قام المؤلف الكريم بحصر ما أُلّف عن مكة المكرمة منذ بدء التأليف عند العرب وحتى سنة ١٣٤٣هـ، وهي السنة التي دخلت فيها مكة تحت الحكم السعودي. أما الحقبة الزمنية اللاحقة لهذا التاريخ فخصّها بمؤلَّف آخر متمِّم لهذا الكتاب. وقد رصد المؤلف في هذا المعجم (٢٦٠) مادة علمية مقسمة إلى أربعة أنواع من المواد. الأول: الكتب وبلغت (١٦٢٣) عنوانًا من الكتب باللغة العربية أو المترجمة إليها، لا يزال منها (٥١٨) مخطوطًا. والثاني: الرسائل الجامعية المكتوبة باللغة العربية، وبلغ عددها (١٢٢) عنوانًا. والثالث الأبحاث والمقالات والمحاضرات، وبلغ عددها (٦٨٩) عنوانًا، نشر معظمها في الدوريات والمجلات السعودية، وكانت مجلة المنهل الأبرز في كثرة الكتابات عن مكة وما يتعلق بها حيث بلغ ما نشر فيها (١٤٢) مادة، وتلتها مجلة العرب حيث نشر فيها (٦٣) مادة، ثم مجلة الحج

التي نشر فيها (٣٨) مادة ثم مجلة الدارة التي نشر فيها (٣٣) مادة ثم تلتها المجلات الأخرى على تفاوت بينها في عدد المنشور فيها من الأبحاث والمقالات عن مكة. وأدرج المؤلف ضمن هذا النوع من المواد عناوين الأبحاث التي قدمت لندوات ومؤتمرات ونشرها بعد ذلك في كتب خاصة. والنوع الرابع يُعنى بالمواد المكتوبة بلغات غير اللغة العربية وحصر المؤلف منها (١٦٩) عنوانًا منوعة بين الكتب والوثائق الرسائل الجامعية والأبحاث والمقالات.

كتب المؤلف في صدر معجمه دراسة وصفية تحليلية شاملة (ص ص ١٣-٤٧) لما ضمّه المعجم من مواد وهي دراسة قيِّمة مدعومة بالإحصائيات، وتعكس حركة التأليف نشاطًا وتراجعًا، كما تعكس نشأة الاهتمام ببعض الموضوعات وازدهار التأليف فيها، مثل بداية التأليف في الرحلات؛ فقد وصف مناهج الرحالة في كتاباتهم ومدار اهتماماتهم في تدوينهم ويقول: "ورغم تدوين الرحلات إلى الحجاز، إلا أن ذلك ازداد بشكل ملحوظ منذ القرن السابع الهجري...". ويقول في موضع آخر (ص ٢٢): "إلا أن ما يلفت الانتباه من خلال استعراض ما كتب عن الرسول صلى الله عليه وسلم في مكة المكرمة، بصفة عامة، كثرة الكتابات عن مولد الرسول صلى الله عليه وسلم، والإسراء والمعراج، وكذلك هجرته من مكة إلى المدينة... وقد اتضح لي من خلال عرض المصنفات والكتابات حول المولد أن التصنيف فيه لم يكن ذا بال... قبل القرن التاسع الهجري... ثم بدأ يتزايد بشكل ملحوظ... حتى بلغ الذروة إبان القرنين الثاني عشر والثالث عشر الهجريين".

لا شك أن تأليف مثل هذا المعجم يحتاج إلى عزيمة قوية، واطلاع واسع، ومتابعة مستمرة، وجهد شاق، وقدرة على التنظيم، وقدر طيِّب من الأناة؛ وكل هذه الخصائص قد توفرت في المؤلف الكريم. صحيح أنه فات عليه إدراج بعض عناوين الكتب والبحوث المعاصرة، إما أنها متاحة مثل بعض الكتب، لكن لم ييسر له الاطلاع عليها، أو أنها نُشرت في أوعية علمية مخزنة في المخازن والأدراج لم يطلع عليها غير القليل جدا من الباحثين. كما يلاحظ أن المؤلف لم يذكر في دراسته التمهيدية أنه اقتصر على ذِكر المؤلفات الموجودة فقط، وضرب صفحًا عن ذِكر عناوين الكتب المفقودة؛ وبحكم اطلاعه الواسع على كتب الفهارس، فمن المرجح جدا أنه يعرف أن كلا من الزبير بن بكار (ت ٢٥٦هـ/٨٧٠ م) وعمر بن شبه النميري (٢٦٢هـ/٨٧٤ م) ألّف كتابًا يحمل عنوان "تاريخ مكة" وتوجد اقتباسات يسيرة من كتابيهما، وهما معاصران للأزرقي (ت بعد ٢٤٤هـ/٨٥٨م) صاحب أقدم كتاب موجود بين أيدينا عن تاريخ مكة، ومع ذلك لم يُشر إليهما.

لا شك أنّ هذا المعجم سوف ييسّر على الباحث في تاريخ مكة الوصول إلى كثير من المصادر والمراجع دون عناء، وبذلك وفّر المؤلف خدمة جلّى للباحثين. ولا شك أن طبعاته اللاحقة سوف تمكن المؤلف من استدراك ما فات وإضافة ما استجد.

ع. ص. هـ.

• التاريخ والمؤرخون بمكة، من القرن الثالث الهجري إلى القرن الثالث عشر، "جمع وعرض وتعريف"، تصنيف: محمد الحبيب الهيلة، مؤسسة دار الفرقان للتراث الإسلامي ١٩٩٤م، ٥١٨ صفحة.

محمد الحبيب الهيلة أستاذ جامعي مرموق قام بالتدريس في جامعات بلده تونس، ثم انتقل إلى العمل بجامعة أم القرى بمكة المكرمة، وقد أمضى عددًا من السنوات بالتدريس والإشراف على رسائل الدراسات العليا. وكان معظم الرسائل التي أشرف عليها في التاريخ المكي. وقد قاده هذا التعايش الطويل مع التاريخ المكي لأن يؤلف هذا الكتاب، والمأمول أن يكون مقدمة لما سيأتي بعده من أعمال. وبتواضع العلماء، وصف عمله في هذا الكتاب على الغلاف بأنه "جمع وعرض وتعريف"، وتحاشى استخدام مصطلحات مثل "دراسة" أو "تحليل" أو "دراسة نقدية". وقد استطاع المؤلف حصر ١٨٧ مؤرخًا مكيًا عاشوا في ما بين القرنين الثالث والثالث عشر الهجريين، وبلغ عدد مؤلفاتهم ٨٤٦ كتابًا تناولت التاريخ ومتعلقاته أو التي تعدّ من المصادر الأساسية للدراسة التاريخية. ويقول (ص ١١): "ولكن أسفي كان أكبر من دهشتي عندما دلني الإحصاء إلى ما يلي:

أ - لم يطبع من بين مجموعة هذه التآليف غير ٩٨ عنوانًا.

ب- أغلب ما طبع كان من الطبعات القديمة أو الطبعات التجارية غير المحققة.

ج - الكتب المحققة تحقيقًا علميًا لا تصل إلى عدد أصابع اليدين.

د - إن ما بقي غير مطبوع من الإنتاج المكي التاريخي يبلغ مبدئيًا ٧٥٠ عنوانًا.

هـ- إن ما أمكنني التعرف عليه من مخطوطات موجودة يبلغ ٢٤٥ عنوانًا"

أما منهجه في كتابه فقد رتب تسلسل المؤرخين حسب تواريخ وفياتهم، وتتضمن سيرة كل مؤرخ العناصر التالية: ترجمة موجزة للمؤرخ، يليها مصادر ترجمته. وقد تقصى المؤلف المصادر في ذلك، ثم يليها آثاره التاريخية، ويذكر مخطوطات كتبه ومظان وجودها وأرقامها، و يصف طبعات الكتب المطبوعة.

وترجماته متوازنة، ومتوسط حجم الواحدة منها صفحتان، ونادرًا جدًا ما تتجاوز ذلك مثل ترجمة رقم ١١٤ محمد علي بن محمد علان البكري (ت١٠٥٧هـ/١٦٤٧م) التي امتدت من ص ٣١٤- ٣٣٠. وهناك من شغلت ترجمته أقل من صفحة مثل الترجمة رقم ١٥٥ محمد بن حسن العجيمي المكي، ص٣٩٦.

وبالإضافة إلى فهارس التراجم، فقد زوّد كتابه بفهرس للأعلام وآخر للكتب؛ مما يسر الوصول إليها بسرعة ودون كبير عناء.

إن عمل الدكتور الهيلة في هذا الكتاب تطلّب جهدًا بحثيًا مضنيًا، ولكن نتيجة عمله التي تمخض عنها هذا الكتاب القيّم هو، في المقام الأول، خدمة لمكة -شرّفها الله- وتاريخها، وسوف يعين كل باحث في التاريخ المكي؛ وهذا أفضل مكافأة لكل جهد بذله، فله منا معشر المؤرخين كل الشكر والتقدير.

ع. ص. هـ.

إهداءات إلى مكتبة العربية

أولاً: الكتب

- شعراء عُمان في الجاهلية وصدر الإسلام: جمع أحمد محمد عبيد وتحقيقه. إصدار المجمع الثقافي، أبو ظبي، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.
- شِعر قبيلة كلب حتى نهاية العصر الأموي، جمع أحمد محمد علي عبيد وتحقيقه ودراسته. إصدار المجمع الثقافي، أبوظبي، ١٩٩٩م.
- العصر الجاهلي وأدبه في مصادر التراث العربي (المفقودة والمخطوطة والمطبوعة): أحمد محمد عبيد. إصدار المجمع الثقافي، أبو ظبي، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.
- غاية المقصود في المقصور والممدود، تحقيق هلال ناجي، ط١، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م، عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت.
- الفارق بين المصنِّف والسارق، للعلامة عبدالرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي، تحقيق هلال ناجي، ط١، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م، عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت.
- قراءة في دراسات عن إمارة آل رشيد، د. عبدالله الصالح العثيمين، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م، شركة ألوان للطباعة والصناعة المحدودة.

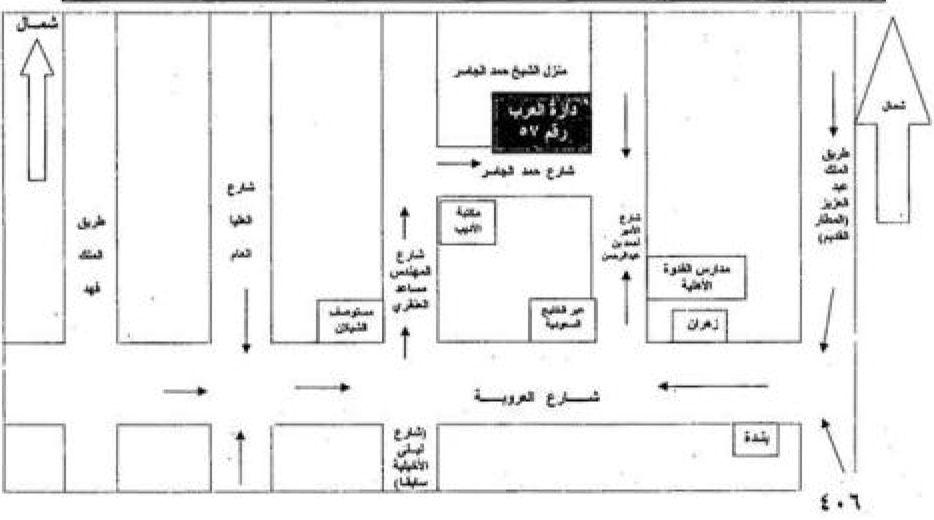
ثانيًا: المجلات

- آفاق الثقافة والتراث، العدد ٣٥، رجب ١٤٢٢هـ/أكتوبر (تشرين ١) ٢٠٠١م، السنة ٩. مدير التحرير: د. عزالدين بن زغيبة.
- رسالة الخليج العربي، العدد ٧٢، السنة ٢٠، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م، رئيس هيئة التحرير: د. سعيد بن محمد الملّيص.
- رسالة الخليج العربي، العدد ٧٣، السنة ٢٠، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م، رئيس هيئة التحرير: د. سعيد بن محمد الملّيص.
- رسالة الخليج العربي، العدد ٧٤، السنة ٢٠، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م، رئيس هيئة التحرير: د. سعيد بن محمد الملّيص.

﴿ تنبيـــه ﴾

أخي القارئ الكريم

انتهت سنة العرب السادسة والثلاثين بصدور العدد المزدوج ١١و١٢ (الجماديان ١٤٢٢هـ) من تلك السنة. ولظروف المجلة الخاصة لم يعلن في ذلك العدد عن انتهاء الاشتراكات، ولم يطلب تحويل قيمة الاشتراك لمن يريد الاستمرار في تلقي المجلة. ولذلك فالمرجو ممن يرغب الاستمرار تحويل قيمة الاشتراك بشيك باسم (مجلة العرب) أو بحوالة على حسابها رقم ١٢٩٤٧/٦ لدى شركة الراجحي المصرفية للاستثمار - فرع رقم ١٢٥ - شارع الظهران - الرياض - أو الحضور إلى مقر المجلة الموضح في الرسم الآتي. كما نأمل تجديد عنوانك لتصلك المجلة في مواعيدها،،، وفق الله الجميع لما يحبه ويرضاه.




بنك ينبض بالرعاية والاهتمام